

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات الأدبية والنقدية

بنية القصيدة الجاهلية

دراسة فنية موضوعية

تخصص الأدب والنقد

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالبة :

إشراف الدكتور:

سعيدة علي عبد الواحد

عبد الرحمن عطا المنان

٢٠٠٦ - ٢٠٠٧ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّتُ لِلْجِبَالِ
شُكْرًا وَيَكْتُبُ فِيهَا
إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي هُوَ أَعْلَمُ
بِمَا نُكْتَبُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى :

﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ لَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ وَأَنَّهُمْ
يُقولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا
وَاتَّصَرَوْا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الشعراء الآيات من ٢٢٤-٢٢٧

إلى من

إلى من أزعج الناس إلى قلبي . . . إلى من وقفوا أشجاراً
باسقة لأجلنا . . . إلى من ضحوا كثيراً من أجلنا
. . . إلى من اشتعلوا ضياءً لينيروا لنا طريقنا ودرونا
إلى من بذلوا فوق طاقتهم لإسعادنا

أبي وأمي

إلى أحبتي وأعزائي . . . إلى الأزهار والورود

التي زينت دنياي

أخوتي وأصدقائي

إلى كل من أضاء طريقتي وكل من علمني حرفاً

ووقف بعقله وعلمه ووقته

أساتذتي

أهدي هذا البحث

الشكر والتقدير

الشكر أولاً وآخرأ لله سبحانه وتعالى كما يحب ويرضى والتزاماً بقوله

عز اسمه: {وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} (١).

ويقول الشاعر

من لا يؤدّي شكر نعمة خله * * * فمتى يؤدّي شكر نعمة ربّه

بمقتضي واجب الوفاء فإنني أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان لكل من أسهم في إخراج هذا البحث، وأخص بوافر شكري وامتناني للدكتور الجليل/ **عبد الرحمن عطا المنان**. الذي كان له فضل الإشراف علي هذا البحث ورعايته منذ أن كان فكرة فقد كان نعم المشرف فجزأه الله عن العلم وطلابه خير ما يجزي العلماء والعاملين أطال الله عمره وجعله زخراً للوطن عامة وللغة العربية خاصة، والشكر لجامعة أم درمان الإسلامية ومكتبتها العامرة ومكتبة جامعة القرآن الكريم ومكتبة جامعة إفريقيا العالمية والشكر للجنة المناقشة لتفضلهم بقبول تقويم هذه الرسالة.

(١) سورة النمل : الآية (٤٠)

(٢) ديوان البحتري : شرح د. يوسف الشيخ محمد، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ج٢، ص ٢٨٥

المقدمة:

الحمد لله الموفق لكل خير، والحات علي بذل كل يد، والذال علي كل فضل وإحسان، والصلاة والسلام علي حبيبنا وإمامنا محمد (ﷺ)، ومن سار علي نهجه إلي يوم الدين.

فموضوع البحث بنية القصيدة الجاهلية دراسة فنية وموضوعية في أثناء دراستي لمادة الأدب أعجبت ببنية القصيدة الجاهلية لما أمتازت بها من قيمة فنية فأحببتها وشققت بها فأتجهت لدراستها والبحث فيها.

أهمية الموضوع:

ترجع أهمية الموضوع إلي جانب تأصيل التراث، وإحياء التراث ضرورة حضارية لكل نهضة صحيحة ننشدها لأمتنا ذلك يربط الماضي بالحاضر، وأن قوى الحياة الإنسانية والسعادة البشرية كامنة فيما خلفه لنا أجدادنا من علوم وآداب وفنون وغيرها.

أهمية البحث:

- تتبع أهمية هذا البحث من خلال تجربة القصيدة الجاهلية من حيث البنية اللغوية وإظهارها من خلال لغة الشاعر في الوصف والغزل والبكاء علي الإطلال.
- تتبع أهمية القصيدة الجاهلية من أنها مرآة لعصر يمكن أن نتعرف عليه من خلالها من حيث البيئة والمجتمع والعادات والتقاليد والتراث.

أهداف البحث:

- يهدف البحث لعرض القصيدة الجاهلية ودرستها من خلال تنوع موضوعات القصيدة من داخل بنية القصيدة غزل وصف وبكاء علي الأطلال.
- يهدف هذا البحث لعرض اختلاف الموضوع وتناوله علي الموضوع أعلاه.

مشكلة البحث:

من مشكلة البحث أن القارئ الحديث يجد صعوبة في قراءة الشعر الجاهلي لكثرة ما تجد فيه من ذكر أسماء المناطق والأمكنة ولغة غير مستخدمة في هذا العصر، كما أن الغزل الذي تناولته القصيدة غزل حسي ومعنوي.

حدود البحث:

حدود هذا البحث بنية القصيدة الجاهلية المكونة من الأطلال، والغزل، والوصف، وأغراض الشعر الأخرى.

منهج البحث:

تناولت المنهج الوصفي التحليلي في دراسة هذا البحث

الدراسات السابقة:

لم أجد دراسة بعينها عن هذا الموضوع بالرغم من أن هناك دراسات تناولت هذا الموضوع، ولكن بطرق مختلفة عن هذه الدراسة، وهذه الدراسات أفادت دراستي. وفي تناولي لهذه الدراسة قد استعنت بالعديد من المصادر والمراجع ذات الصلة بموضوع البحث نذكر منها تاريخ الأدب العربي للرائد شوقي ضيف، العمدة لابن رشيق كتاب الحيوان الجاحظ وكتاب البيان والتبيين وغيرها من الكتب والمراجع.

هيكل البحث:

هذا وقد قسمت بحثي إلي عدة فصول وكل فصل يشتمل عددا من المباحث واختتمت البحث بالخاتمة وتوصلت إلي أهم النتائج والتوصيات.

الفصل الأول الأطلال

وفيه ثلاث مباحث :

المبحث الأول : الأطلال عند الشعراء الجاهليين

المبحث الثاني : فلسفة الوقوف على الأطلال عند النقاد المحدثين

المبحث الثالث: المطالع الطللية والغزلية في القصيدة الجاهلية

المبحث الأول

الأطلال عند الشعراء الجاهليين

يعد الطلل من أهم الموضوعات التي تردت في القصيدة الجاهلية لعلاقته الوثيقة بإنسانية الشاعر الجاهلي، وميوله وعواطفه بماضيه وحاضره^(١) وأن النقاد القدماء والمحدثين حاولوا تفسير هذه الظاهرة (الوقوف علي الأطلال)، وقد ذهب ابن قتيبة^(٢) إلى أنها تمثل جزءاً أساسياً من القصيدة العربية ترتبط بأسباب نفسية حددها في قوله (سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيه بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكى وخاطب الربع وأستوفت الرفيق، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الطاعنين عنها إذا كان نازلة العمد في الحلول والظعن علي خلاف ما عليه زلزلة المدد لانتقالهم من ماء إلي ماء وانتجاعهم الكلاً وتتبعهم مساقط الغيث، ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد وألم الفراق والشوق ليميل نحوه القلوب، ويستعدي الصفاء الأسماع إليه لأن التشبيب قريب من النفوس لما جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل فلا يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب وضارها فيه بسهم حلال أو حرام، وشكا النصب والسهو وسرى الليل والهجير، وحاول ابن رشيقي أن يعلل ظاهرة الوقوف علي الأطلال تعليلاً يربط بينهما وبين طبيعة الحياة الجاهلية، فقال: (كأنوا قديماً أصحاب خيام يتنقلون من موضع لآخر فلذلك أول ما تبدأ أشعارهم بذكر الديار)^(٣) ويتضح لنا في ظاهرة الوقوف علي الأطلال ذاتية الشاعر حيث نراه يتحدث فيها بغير المتكلم وكأنه وحده هو الباقي علي الراحلين، ولا تأثير لطلل عليهم إلا ما

(١) الطبيعة في الشعر الجاهلي: ص، ٢٥٧، نوري حمو بالقيسي، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، عالم الكتب مكتبة النهضة.

(٢) ابن قتيبة: (٢١٣-٢٧٦) علم من أعلام الإسلام وإمام وحجة من أئمة العلم وكان من علماء العربية علي مذهب البصريين، من تصانيفه كتاب معاني الشعر الكبير، كتاب عيون الشعر، كتاب عيون الأخبار، وفيات الأعيان، ج٣، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

(٣) العمدة، لابن رشيقي، ج١، ص٢٢٦

يكون من مؤساته وتعزيتته، ولنبدأ في هذا الموقف مع الشاعر المفضلّي عبد الله بن سلمة الغامدي^(١)، حيث يقول:

لَمَنْ الدِّيارِ بَتولِعِ قَيبوسٍ * * فَبِياضِ رِيطَـةٍ غَيْرِ ذاتِ أنيسِ
أَمستَ بِمستَنِّ الرِّياحِ مُفيلةً * * كالوشمِ رُجَعِ في اليَدِ المَكَنوسِ^(٢)

فالشاعر هنا يصف ديار حبيته ، وأطلالها الدارسة ذاكرة تأثير الرياح فيها حيث أخفت معاملها ومحت آثارها ذاكرة كل هذا بمنتهي الحزن والأسى ولكنه لا يستسلم لهذا اليأس^(٣)

وقد نال الوقوف علي الأطلال كثيرا من عناية النقاد قدامي ومحدثين ، أما القدامي فكانت أحكامهم جزئية ينذر أن يحكموا عليها كلها فقالوا^(٤)

قفا نَبِكِ مِنْ ذِكْرِ حَبيبٍ وَمَنْزِلٍ * * بِسِقْطِ اللوى بَيْنَ الدَخولِ فَحومِلِ^(٥)
ويري ابن رشيق^(٦) أنه أفضل ابتداء صنعه الشاعر لأنه وقف وأستوقف وبكى وأستبكى ، وذكر الحبيب والمنزل في بيت واحد.

فأبن رشيق كابن قتيبة فيما نقل عن بعض الأدياء، يرجع ظاهرة الوقوف علي الأطلال إلي تأثير البيئة التي عاشها البدوي، وأضاف ابن رشيق إضافة زكية وهي أن الوقوف علي الطلل طبع عند أهل البدو تقليد عند أهل الحضر^(٧)

فلا عجب من أن هذه الأطلال أن يعزها الشاعر وأن يقف بها ويطوف حولها؟ بل وقد وقف وأستوقف وبكى وأستبكى ونطق وأستنطق، وقد ارتبط اسم الديار باسم المحبوب فهما مقترنان اقترانا معنويا في ذهن الشاعر^(٨) وذلك في قوله طرفة^(٩)

(١) عبد الله بن سلمة الغامدي القحطاني الأزدي: شاعر مخضرم (بين الجاهلية والإسلام)، روى له المفضل الضبي في المفضليات قصيدتين ليس فيهما ما يدل علي عصره. (أنظر الأعلام خير الدين الزركلي ، ٤، ص ٩٠، ط ١٠، بيروت، دار العلم للملايين ، ١٩٩٢م)

(٢) المفضلية، ج ١٩، ١٠٥

(٣) المرجع السابق، ص ١٣٢

(٤) الأصول الفنية للشعر الجاهلي، د. سعد إسماعيل شليبي، ص ١٣٣

(٥) ديوان أمراء القيس ، ص ٢٥، تحقيق حنا الفاخوري

(٦) ابن رشيق : هو الحسن بن شريق المعروف بابن رشيق القيرواني ، أبو علي الشاعر، ولد بالمهدية، ورحل إلي القيروان، ودخل إلي صقلية وسكن مازر، ولد سنة ٣٨٥هـ، وتوفي سنة ٤٦٣هـ، من تصانيفه العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعبويه. (أنظر معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ط ١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣، ج ١، ص ٥٥١)

(٧) الأصول الفنية للشعر الجاهلي، ص ١٣٤

(٨) الغزل في الشعر الجاهلي، أحمد محمد الخوفي، دار القلم، بيروت، ص ٣٣٦ .

خولة أطلال ببرقه ثمهد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

خولة : اسم امرأة كلبية

برقه : مكان اختلط ترابه بحصى

الطل : ما شخص من رسوم الدار

يقول لهذه المرأة أطلال ديار بالموضع الذي يخالط أرضه حجارة وحصى من ثمهد فتلمع تلك الأطلال لمعان بقايا الوشم في ظهر الكف شبه لمعان أثاره بلمعان الوشم في ظهر الكف.

فقد عني الشعراء بالأطلال عناية فائقة فقد حددوا مواقعها تحديدا دقيقا، كأنما يرسمونها علي الورق، ولعل سبب ذلك تخوفهم من أن تمحوها عوادي الطبيعة. كثيرا ما كان الشاعر يتخاطب مع الأطلال فيصفها بصفات الحي ثم يخبر الطل ويستخبره ويناجيه ويستلهمه ، يتبرم به حين لا يجيب سؤاله، ويدعو له بالسقيا والسعادة^(٢).

ومن تأثيرها العميق في نفس الشاعر قول امرؤ القيس^(٣)

ألا عم صباحاً أيها الطللُ البالي * * وهل يعمن من كان في العُصْرِ الخالي
وهل يعمن إلا سعيدُ مُخلِّد * * قليلُ الهُموم ما يبيتُ بأوْحال^(٤)

فهو يحييه ويتمنى له السعادة، ثم يستدرك فيقول: وهل يشعر بالسعادة من تقادم به الزمن وتناوبته الأحداث؟ لقد تعاورتك أيها الطلل هموم العمر الطويل، حتى صار من البعيد أن تتناسى الآمك وتشعر بالسعادة.

وقد يبكي الشاعر لوعته وشوقه وحرمانه، تحدث بذلك امرؤ القيس، ووقف واستوقف صاحبيه، واستبكاهما معه، وأشفا عليه فنصحا له أن يتجلد حتى لا ينجع

(١) تعريف الشاعر طرفة بن العبيد هو طرفة بن العبيد بن سليمان بن سعد بن صعصعة أسمع عمر وسمه طرفه علي حسب في قومه جرثيا علي هجائهم كان احدث الشعراء سناً وأقدمهم عمرا قتل هو ابن عشرين سنة فقبره بالبحرين وأشهر سعره معقلته ولد نحو ٥٤٦-٥٦٦ (أنظر الأعلام، لخير الدين الزركلي، مرجع سابق، ج٣، ص٢٢٥)

(٢) الغزل في الشعر الجاهلي ، ص٣٣٧

(٣) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار، أشهر شعراء العرب علي الإطلاق ، يمني الأصل، مولده بنجد، توفي ٨٠ق.هـ، أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر. من آثاره ديوان شعر. (تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، نقله إلي العربية عبد الحليم النجار، القاهرة، دار المعارف ج١، ص٩٧.

(٤) ديوان امرؤ القيس ، ص٥٦

نفسه، فرد عليهما أن شفاءه في أن يبكي ليخفف من بعض همومه^(١) وكذلك بكي المرقش الأكبر^(٢)

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ عَفَا رَسْمُهَا * * إِلَّا لِأَثَافِيٍّ وَمَبْنِي الخَيْمِ^(٣)

كانت الأطلال نفسها مجال للافتتان من حيث تشبها بغيرها بما تداعي إلي خاطر الشاعر، حيث رآها الشعراء الوشم، وبالطرز الموشي، وبالكتابة وغيرها. وكان لهذا التشبيه علاقة نفسية لأن الشاعر يتذكر حبيبته وهو واقف بآثارها وقوف الذاكر الخاشع/ وهو يري الرمال قد موجتها الرياح، ونبتت هذا المنزل فيشبهه بالطرز الموشي وذلك من ملابس الحبيب^(٤) شبه زهير^(٥) الأطلال بالوشم فقال:

وَدَارُ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا * * مَرَجُعُ وَشَمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ^(٦)

وهكذا جاء الطلل موضوعاً هاماً اشترك فيها عدد كبير من الشعراء الجاهلية لما فيه من علاقة مباشرة بواقعهم ووجدانهم. وأن هذا لا ينفي ظهور التلوين الشخصي في مقدمات الطلل، وقد يتمثل هذا التلوين عند كل شاعر علي حدة علي جانب معين، وربما كان الجانب الواقعي وقد يتمثل في طريقة معالجة الصورة الطللية وتسخيرها في خدمة الموضوع الخاص بالعقيدة.

كانت الأطلال نفسها إلي بيت الشعر في نواشر معمم بعدها وكذلك طرفة في

قوله:

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالٍ بِبُرْقَةٍ تَمْهَدُ * * تَلْوُحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ^(٧)

وتبعها النابغة الذبياني^(١) بالوشى :

(١) الغزل في الشعر الجاهلي، ص ٣٣٨

(٢) المرقش الأكبر: هو عمرو بن سعد بن مالك بن طبيعة بن قيس بني ثعلبة بن عكامة بن بكر وائل بن قاسط المرقش لقب له وعو المرقش الأصغر وكلاهما من مئيمي العرب وعشاقهم وفرسانهم . توفي نحو: ٧٥ق.هـ. (أنظر معاهد التنصيص عبد الرحيم العباسي ، طبعه بيروت، عالم الكتب ، ١٩٤٧، ص ٨٤، والأعلام للزركلي ، ج ٥/ص ٩٥

(٣) المفضليات ، أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، ص ٤٩

(٤) الغزل في العصر الجاهلي ، ص ٣٤٤

(٥) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني من صفر، حكم الشعراء في الجاهلية، كان أبوه شاعرا وخاله شاعرا، ولد في بلاد مزينة بنواحي المدينة قصائده تسمى الحوليات. أشهر معلقته له ديوان شعر مطبوع. (أنظر الأعلام ، خير الدين الزركلي، ط ١٠ ج ١، ص ٣٢٧)

(٦) شرح المعلقات السبع للزركلي، كتب المعارف، الطبعة الثانية

(٧) ديوان طرفه، ص ٥

تذكرني أطلال هند مع الهوي * * دعائم منها قائم وتمدع
علي العصر الخالي كان رسومها * * بتتهيه الركين وشي موجع^(٢)
لقد أكثر الشعراء من تشبيه هذه الآثار وتموجاتها والخطوط المنتظمة وبيكي
عبيد الأبرص بكاء حمامة فيقول:

وَقَفْتُ بِهَا أَبْكِي بُكَاءَ حَمَامَةٍ * * أَرَاكِيَّةٍ تَدْعُو حَمَاماً أَوْرَاكَا
إِذَا ذَكَرْتَ يَوْماً مِنَ الدَّهْرِ شَجْوَهَا * * عَلِي فَرَعِ سَاقٍ أَذْرَتِ الدَّمْعَ سَافِكَا^(٣)
تبرم امرؤ القيس لأن الأطلال استعجمت فلم تتطق

صُمَّ صَدَاها وَعَفَا رَسْمُها * * وَاسْتَعَجَمَتْ عَن مَنطِقِ السَائِلِ^(٤)
ولكنه في مرة أخرى، جاء الطلل، وتمنى أن يتكلم، يطيل معه الحديث عن
الحبيبة وركبها ومشاعرها حين الرحيل، صادقاً يحدث به

أَلَا أَنْعِمَ صَبَاحاً أَيُّها الرِّبْعُ وَأَنْطِقِ * * وَحَدَّثَ حَدِيثَ الرِّكْبِ إِنْ شِئْتَ وَأَصْدُقِ
تمر الأعوام وتتبدل الأحداث ولكنها لا تنقص من غزارة الأطلال، لأن قلب
الشاعر خفاق بحب من سكنتها - وتكاد عوادي الطبيعة تمحو معالمها محواً، ولكن
يتحسسها الشاعر بقلبه قبل أن يتنورها بعينه فيقول النابغة الذبياني :

تَوَهَّمْتُ آيَاتِ لَهَا فَعَرَفْتُهَا * * لِسِنَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامِ سَابِغُ^(٥)
كان لمعالمها الباقية أثر عميق في نفس الشاعر لأنها مرتبطة بمن يحب
ترحل الحبيبة وتبقى آثارها في الصحراء.

تبقى الأحجار واثافي * * ودخان يصبغ الأحجار^(٦)
يأتي الشاعر لزيارة حبيبته، فيجد أهلها قد رحلوا بها عن المكان الذي عهدهم
نازلين فيه، فيقف علي ظل الخيمة، (المكان الذي كان الخيمة منصوبة فيه) فيصفه

(١) النابغة الذبياني : هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني ، الغطفاني المضري، أبو أمامة، شاعر جاهلي من الطبقة الأول، من أهل الحجاز، توفي نحو ١٨ق.هـ من آثاره ديوان شعر. (أنظر الأعلام للزركلي، ج٣، ص٥٤، مرجع سابق الذكر).

(٢) ديوان النابغة، ص٣٩

(٣) ديوان عبید الأبرص، القصيدة ١٧

(٤) ديوان امرؤ القيس ، ص٢٥١

(٥) ديوان النابغة الذبياني ، ص٥٢

(٦) الغزل في الشعر الجاهلي، ص٣٤٢

ويعصف ما حوله وينسب بالحببية ويتشوق إليها^(١)، كثيراً ما يتحسر الشاعر لأن
معني الحببية صار مرتعا للوحوش^(٢)

يأتي الشاعر لزيارة، إذا ما غدر الدار فأطغوها أوي إليها الحيوان الذي كان
يألفها ثم فر منها لما خيموا، وأدي إليها ليطعم مما خلفوا، قد صور الشعراء هذا في
شوقهم قال المرقش الأكبر في حسرة أنها قد خلت من سكانها، وليس بها إلا أبقار
الوحوش ترعى في دعة وتمشي مختالة كالفرس:

المرقش الأكبر:

أَمَسَتْ خَلَاءَ بَعْدَ سُكَّانِهَا * * مُقْفَرَةً مَا إِنَّ بِهَا مِنْ إِرْمٍ

إِلَّا مِنَ الْعَيْنِ تَزْعِي بِهَا * * كَالْفَارَسِيِّنَ مَشَوْا فِي الْكُمِّ^(٣)

شبه الأطلال التي تصفها الرياح بالكتابة وبالصحف المكتوبة فقد صورها
امرؤ القيس بخط زبور في عسيب يمانى أي خط زبور في سقف النخل الوارد من
اليمن معدا للكتابة فيقول:

لِمَنْ طَلَّلُ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي * * كَخَطِّ زَبُورٍ فِي عَسِيبِ يَمَانٍ^(٤)

وقال طرفه أنها كسطور الكتابة الجميلة المزينة التي ينمقها كاتب فقال:

أَشْجَاكَ الرَّبْعُ أَمْ قَدَمُهُ * * أَمْ رَمَادُ دَارِسُ حُمَمُهُ

كَسْطُورِ الرِّقِّ رَقَّشُهُ * * بِالضُّحِيِّ مُرَقَّشُ يَشِمُّهُ^(٥)

وقال المرقش الأكبر:

الدَّارُ قَفْرٌ وَالرُّسُومُ كَمَا * * رَقَّشَ فِي ظَهْرِ الْأَيْبِمِ قَلَمٌ

(١) تاريخ الأدب العربي، د. عكر فروخ، ج ١، ص ٨٠/١، دار العلم - بيروت

(٢) مرجع سابق، ص ٣٣٦

(٣) الغزل في الشعر الجاهلي، ص ٣٣٦

(٤) ديوان امرؤ القيس، ص ١٩

(٥) ديوان طرفه، ص ٦٨

المبحث الثاني

فلسفة الوقوف علي الأطلال عند النقاد المحدثين

حاول ابن قتيبة تفسير الوقوف علي الأطلال، كذلك حاول بعض النقاد المحدثين تفسيرها، فقد اختلفت لظاهرة الوقوف علي الأطلال، فحللوا للوقوف علي الأطلال تعليقات مختلفة.

ففرق يتخذ من وراء القدماء منطلقاً لرأيه في حسن العرض وجمال الصياغة، وفرق يقف علي الطلل ويكد ذهنه في تفسيرها يعتمد فيها علي علم النفس^(١)؟
ومن الذين يدورون في فلك القديم الدكتور محمد الكفراوي في كتابة (الشعر العربي بين الجمود والتطور) قال : يظهر أن الشعر العربي كما يفهم من اشتقاقه بدأ أول الأمر في صورة نجوى بين المرء ونفسه ويترجم بها عن مشاعره، ويتغنى بها آماله وعواطفه كلما طال عليه الليل ، وأي شيء أحب إلي نفسه والصق فؤاده من حبيبه يسترجع ذكرياته معها حلوها ومرها، فإن ارتحلت عن ديارها لم يجد سوى الربع الخالي يسأل عن الحبيبة الراحلة، ويلتمس في جوانبه مواطئ أقدامها، فيلتمس صورتها في وجه القمر ويتنفس أنفاسها عند الأصائل والأسحار.

وإذا كانت الحبيبة هي المثير الطبيعي لعاطفة الحب فإن الأطلال هي المثير الصناعي وتفسير ذلك أن الحبيبة بعيدة عن المشاعر، فديارها حلت محلها في إثارة عاطفة حبها، فلديارها ووجدانها هي المثير الصناعي، ومرت الأيام حتى صارت ديارها وحدة متماسكة الأجزاء، فإذا كان جزء قد رحل فإن الجزء الآخر قد حل محله^(٢).

ويقول الدكتور شلبي (أرى في ضوء هذه الآراء المقترنة المعتمدة علي النصوص وما تشير إليه، أن نعد الوقوف علي الأطلال لونا من ألوان حب العربي لوطنه، فالعربي يحب وطنه ويتمسك به ولا يهمله ولا ينساه)^(٣)

(١) الأصول الفنية لشعر الجاهلي، ص ١٣٤-١٣٥

(٢) الغزل في الشعر الجاهلي، ص ٣٣٥

(٣) مرجع سابق، ص ١٣٥-١٣٦

وكذلك يقول الدكتور سعد إسماعيل شلبي في كتابه الأصول الفنية للشعر الجاهلي (ان رأي المستشرق الألماني " فالترباوته" من أهم الآراء، لأنه آثار تساؤلات وقرر فكرة في جوهرها فكرة المتفالسفين من بعده وعلي الأخص الدكتور عز الدين إسماعيل في مجلة الشعر والدكتور مصطفى ناصف في كتابه" قراءة ثانية لشعرنا القديم"^(١))

يقول فالتربروانه (إن قطع النسيب التي تطالعنا في صدور القصائد الجاهلية، ليست وسيلة إلي غاية أبعد منها، وإنما هي غاية في نفسها، وينكر ما ذهب إليه ابن قتيبة ويرى أنه تفسير غير محتمل، وأنه بعيد عن الشعراء القدماء لأنه رحل حضري يعيش في مجتمع متحضر، بعيد عن البداوة، ويقول: أن النمط المعتاد للنسب هو الحب والصبابة والشوق للحبيب، ويلخص من ذلك إلي أن النسب في كل زمان ومكان يسأل عن وجوده ومصيره ونهايته وبصفة خاصة كان هذا السؤال يؤلم الشاعر الجاهلي ويضايقه، كلما رددت عبارات: عنت الديار، درست الرسوم، أمحت الرسوم).

والحياة تعني تحت جبر القضاء وظلم المنية، وما أُرهب الحياة إن وجود الإنسان تخيم عليه تجربة التناهي، فهل شئون حياته مثل الديار تطفح بالحركة والحياة يوم أن يكون أهلها في ربوعها ثم تتحول إلي غفار موحشة يخيم عليها السكون والموت عند رحيل أهلها^(٢) وقد نقل الدكتور نوري حموي القيس إبداء الرأي الألماني (فالتربرانة) وتفسيره لظاهرة الوقوف علي الأطلال في كتابه: (الطبيعة في الشعر الجاهلي) يقول: فسر المستشرق الألماني فالتربرانة الظاهر من خلال التماسه لألوان من التفكير الوجودي لدى الشعراء الجاهليين، وأعتبر النسب ظاهرة تحمل ملامح من التفكير الوجودي، وأعتقد أن موضوع اختيار القضاء والفناء والتناهي، هو الذي حرك الإنسان من حين إلي حين، وأعتقد أن الشعراء عبروا في نسبيهم عن مشاعر صادقة كامنة في أنفسهم، وأن الأحاديث التي ذكروا فيها أيامهم السعيدة ووصفوا ساعات اللهو والشرب والهزل والمداعبة، كانوا فيها يتكلمون عنها

(١) مجلة المعرفة السورية، السنة الثانية، العدد الرابع، ص ١٣٧

(٢) مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، د. حسن عطوان، ص ٢١٦-٢١٧، دار المعارف

بصراحة من الألم، لشعورهم بأن الفرح انتهى، وأن اللهو مضي، وأن الشباب فني، وأن الإنسان يشعر دائماً بتهديد القضاء، وتوعد الفناء ويخلص من حديثه هذا فيقول: (إن الشعر القديم مسائل شبيهة بتلك التي تثيرها الفلسفة الوجودية)^(١)

وحاول الدكتور يوسف خليف^(٢) أن يجعل فرات الفراغ التي كانت تطول في بعض الأحيان وخاصة في أيام الربيع، وعند ما تتحول البادية إلى جنة خضراء يسمون أبلهم وأنعامهم وشاءهم سبباً من أسباب ملء الفراغ بأي شيء حتى لا تستحيل الحياة فراغاً بارداً، وشعور بالضيق في هذه الصحراء المترامية الأطراف التي يخيل للإنسان فيها أنه يعيش في عالم لا يعرف الحدود، وحددت ظروف البيئة والحضارة في المجتمع الجاهلي وسائل هذه المشكلة، مشكلة الفراغ في ثلاث اتجاهات أساسية، الخروج إلى الصحراء للرحلة أو الصيد، والالتقاء بالرفاق لشرب الخمر ولعب الميسر، والسعي خلف المرأة طلباً للحب والغزل.

ويري الدكتور يوسف خليف: أن بكاء الأطلال ليس عاطفة خاصة ولا تجربة وجدانية بل لحظة حزينة أملاها علي الشاعر شعور الجماعة التي ينتمي إليها بالحرمان من الوطن المكاني وبالحنين إلى الاستقرار والمقام الثابت الذي يستطيع فيه أن يقيم بيتاً، ويخلد فيه ذكرياته ويسترجع ملاعب صباه وهو في الواقع لا يواجه ذكرى حبه فحسب وإنما كانت تتداعى في ذاكرته صور شبابه الذاهب.

وهذان الدافعان يكفيان لخلق عاطفة تثير في نفسه جواً مناسباً يحمله علي الحنين، وبعد ذلك التمهيد الذي يخلق الجو الشعري المناسب لقول القصيدة^(٣)

وفي مجلة الشعر السنة الأولى^(٤) ينسخ الدكتور عز الدين إسماعيل أفكار المستشرق الألماني (فالتر براونه) ثم يزيدها وضوحاً ببراهين جديدة من أقوال العلماء والفلاسفة والمحدثين ثم ينسبها لنفسه نراه يقول (إن هذا النسب كان تعبير يجسم لنا ارتداد الشاعر لنفسه، وخلوه إليها، وهو الجزء الذاتي الذي يعبر فيها الشاعر عن

(١) الطبيعة في الشعر الجاهلي، نوري حموي القيس، ص ٢٥٨

(٢) مقدمة الأطلال في القصيدة الجاهلية، ثلاث مقالات نشرت في مجلة المجلة المصرية، الأعداد ٩٨، ١٠٠، ١٠٤، من سنة

١٩٦٥، يوسف خليف نقلا عن كتاب الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص ٢٥٩

(٣) الطبيعة في الشعر الجاهلي، نوري حموي القيس، ص ٢٥٩-٢٦١

(٤) مقدمة القصيدة العربية، ص ٢١٩-٢٢٠

الحياة والكون من حوله، فصورة الحياة بالنسبة للشاعر الجاهلي كانت تتطوي في نفسه علي عناصر خفية أحسها الشاعر إحساسا مبهما، ومن أبرز هذه العناصر الخفية التناقض بين اللامتاهي والغناء).

ومن أجل هذا لم يكن يشعر بالاطمئنان إزاء الحياة، وأن قطعة النسيب تقوم علي عنصرين أساسيين هما الوقوف علي الأطلال وذكر المحبوب، وأن الشاعر لم يجمع بينهما عبثا واعتباطا في موقف أحد، بل جمع بينهما ليرمز إلي الحياة والموت، أي الحب المهدد برحيل المحبوبة، كذلك الحياة المهتدة بالخراب ممثلة في الوقوف علي الأطلال ، هذا إذا نظرنا إلي النسيب علي أنه شكل من أشكال التعبير الأدبي، أما من الناحية النفسية، هو انعكاسا لصراع أبدي في نفس الإنسان بين الحياة وغريزة الموت^(١).

فمقدمة النسيب في العصر الجاهل تعبير عن أزمة الإنسان في ذلك العصر وعن موقفه من الكون، وخوفه من المجهول، ثم يقول الدكتور عز الدين إسماعيل: وقد اتضح من تحليلنا للظاهرة في ضوء حقائق علم النفس التحليلي إن النتائج جاءت مخالفة تماما لما ذهب إليه بن قتيبة ويظهر من عرض رأي الدكتور عز الدين أنه يكرر رأي المستشرق الألماني "فالترايراونة" من الشرح والتوضيح^(٢). إن الدكتور عز الدين إسماعيل يحلل ظاهرة الوقوف علي الأطلال في ضوء علم النفس التحليلي - لا التفسير النفسي بالمعني العام لكلمة النفس طالما جدنا علم النفس بنظريته إلي الاضطراب والتناقض والخطأ.

يقول الدكتور سعد إسماعيل شلبي في كتابه الأصول الفنية للشعر الجاهلي: (وهذا ما نذكره للدكتور مصطفى ناصف بعد قراءتنا لكتابة قراءة ثانية لشعرنا القديم، حيث نراه في صورة مكررة لفتاليراونة وعز الدين إسماعيل، ولكن مع الأغراب في الفكر إلي الأعماق، يقول أن البكاء علي الطلل حزن ولكنه حزن إيجابي وأن الدموع التي نقلت عن تعليق الشاعر بالماضي الذي لم يعد كما يظهر

(١) مرجع سابق، ص ٢١٩-٢٢٠

(٢) مجلة المصطفى ناصف قراءة ثانية لشعرنا وأزنت مجلة المعرفة السوري العدد ٢٧، السنة ١٩٦٤م، ص ١٥٣-١٥٦ بين رأي فالترايراونة والدكتور عز الدين إسماعيل مقال بعنوان توارد خواطر أم نقل أفكار؟ نقلا عن الأصول للشعر الجاهلي، ص ٣٩

لنا فنا أو عدم، فإن كان الماضي قد ذهب، أو أمس قد انتهى فليس معنى ذلك أنه لن يعود فاليوم صورة له، وهذه الإطالة رموز باقية).

إن الدكتور ناصف يردد فكرة الصراع بين الحياة والموت الذي سبقه بها فالترابراونه، غير أن يري في الطل معنى التثبت بالبقاء، وأن ما مضي منه في تاريخه أو أندثر لم ينته إلي عدم مطلق وإنما هو دفن في سبيل البعث.

وبعد هذا الحشد من الآراء أكد بعض القدماء كانوا أكثر منا توفيقاً إلي الصواب في فهم ظاهرة الوقوف علي الأطلال هذا ما انتهى إليه الدكتور حسين عطوان بعد بحث طويل استغرق ما يقرب من أربعون ومائتي صفحة عايش فيها مقدمات القصائد في العصر الجاهلي، وأنتهي في خواتيم بحثه إلي قوله: (ومن يمعن النظر في المقدمات جميعاً، يراها تدور علي معاني الشوق والحنين إلي الماضي وأي شيء في حياة الإنسان في كل زمان ومكان غير الذكريات.)

البحث الثالث

المطالع الطللية والغزلية في القصيدة الجاهلية

لقد أنصرفت عناية بمطلع أي عمل أدبي فقد كانوا يقولون: (أحسنوا معاشر الكتاب والابتداءات فإنهن دلائل البيان) ^(١)

وكانوا يوجبون أن يكون مفتتح الكلام ملائماً للمقصد دالاً عليه سواء كان الشعر أو النثر ^(٢)

أما القصيدة فقد أعتنوا بمطلعها عناية فائقة ، كما يقول ابن رشيق: (إن الشعر قفل أو له مفتاحه) ^(٣) يري ابن رشيق أن المطالع مفتاح القصيدة.

المطلع أول ما يقع في السمع من القصيدة، والدال علي ما بعدها، والمنتزل من القصيدة منزلة الوجه والفره، فإذا كان بارعا وحسنا ومليحا رشيقاً، و صدر بما يكون فيه من تنبيه وإيقاظ لنفس السمع، أو أشرب بما يؤثر فيها انفعلاً ويثيرها حالاً من التعجب أو تهويل أو تشويق، وكان داعياً إلي الإصغاء والاستماع إلي ما بعده ^(٤).

ولقد أهتم الشعراء منذ القدم بمطالع قصائدهم ، لأنها أول ما تفاجأ السامع ، فلا بد أن يكون لها وقع حسن، ولذلك حمد النقاد للشعراء مطالعهم الحسنة التي تكون واضحة سهلة المأخذ مع القوة والجزالة، وقد لاحظوا كذلك التناسب بين الشطر والعجز وترابط المعني بينهما، وكذلك لاحظوا مناسبة المطالع لموضوع القصيدة، فإذا كان المقام مقام حزن كان أولي بالمطلع أن يبتدئ بذلك من أول بيت، وإذا كان المقام مقام تهنئة أو مدح كرهوا الابتداء بما يتشاعم به ^(٥).

(١) كتاب الصناعتين، لبي هلال العسكري، ص ٤٨٩

(٢) بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، يوسف حسين بكار، ص ٢٥٣، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، دار الأندلس - بيروت لبنان

(٣) العمدة لابن رشيق، ص ١٩١

(٤) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص ٤٩٦

(٥) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص ٤٣

دخل جرير^(١) علي عبد الملك^(٢) بن مروان فابتدأ ينشده:

أَتَصْحُوا بَلْ فُؤَادُكَ غَيْرُ صَاحٍ

فقال عبد الملك: " بل فؤادك يابن الفاعلة" كأنه استقل هذه المواجهة وإلا فقد علم أن الشاعر إنما خاطب نفسه.

لذلك فقد ساءه المطلع، مع إن عبد الملك يعلم أن الشاعر يخاطب نفسه، كلك وقع ذو الرمة فيما وقع فيه جرير، حيث دخل علي عبد الملك بن مروان فانشده من شعره:

مَا بِالْ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ

وكانت بعين عبد الملك ريشة، وهي تدمع أبدا فتوهم أنه خاطبه أو عرض به، فقال: وما سؤالك عن هذا يا جاهل!!؟ فمنهم وأمر بإخراجه وكذلك فعل ابنه هشام بابي النجم^(٣) وقد أنشده:

وَالشَّمْسُ قَدْ كَادَتْ وَلِمَّا تَفَعَّلُ * * كَأَنَّهَا فِي الْأَفْقِ عَيْنِ الْأَحْوَلِ

وكان هشام أحول، فأمر به فحجب عنه مدة، وقد كان قبل ذلك من خاصته، يسمر عنده ويمارحه^(٤)

أسوأ من كل ذلك قول أبي مقاتل في المديح:

لَا تَقُلْ بَشْرِي فَعَنْدِي بِشْرِيَان * * غَرَّه الدَّاعِي وَيَوْمَ الْمَهْرَجَانِ

فَأَوْجَعَهُ الدَّاعِي ضَرْبًا.. ثُمَّ قَالَ :

لَوْ قُلْتُ إِنَّ تَقُلْ بَشْرِي بِشْرِيَان

(١) جرير : جرير بن عطية بن الخطف والخطف لقب، وأسمه حذيفة بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد بن تميم بم مرين أد بن طانجة بن الياس بن مضر بن نزار ويكنى أبا حرزة ولقب الخطف لقوله: يرفعن الليل إذا ما سدقا أعناق جنان وهاما وجفا وهو الفرزدق والأخطل المقدمون علي شعراء الإسلام الذين لم يدركوا الجاهلية جميعا ومختلف في رأيهم المتقدم، ولم يبق أحد من شعراء عصرهم إلا تعرف لهم أم جرير ، أم قيس بنت معبد بن عمير بن مسعود بن حارثة بن عوف بن كليب بن يربوع. اتفقت العرب علي أن شعراء أهل الإسلام ثلاثة جرير والفرزدق والأخطل واختلفوا في تقديم بعضهم علي بعض.

(٢) عبد الملك بن مروان: بن الحكم الأموي القرشي أبو الوليد ، نشأ في المدينة، ولد سنة ٢٦هـ، استعمله معاوية علي المدينة وهو ابن ١٦ سنة، انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥هـ، ونقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلي العربية وهو أول من صك الدينار في الإسلام، وأول من نقش بالعربية علي الدراهم. توفي سنة ٨٦هـ. (أنظر الأعلام، للزركلي ، ج ٤/١٦٥، مرجع سابق).

(٣) ابن أبي النجم: هو الفضل بن قدامه العجلي، أبو النجم، من بني بكر بن وائل، من أكابر الرجاز، ومن أحسن الناس إيشادا للشعر، نبغ في العصر الأموي، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام توفي سنة ١٣٠هـ (أنظر معاهد التنصيص علي شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن أحمد العباسي، بيروت، عالم ١٣٦٧هـ - ١٩٧٤م، ج ١٨/١٨، والأعلام، للزركلي، ج ٥/١٥١)

(٤) العمدة لابن رثيق، ص ١٩٥، ديوان ذي الرمة، ص ١

وقد مدحوا المطالع التي تناسب الحال والمقام

قال العسكري^(١) "أحسن ابتداءات الجاهلية قول النابغة"

كَلَيْنِي لِهَمَّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ * * * وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

وأحسن مرثية جاهلية ابتداء قول أوس بن حجر^(٢)

أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا * * * إِنَّ الَّذِي تَحَدَّرِينَ قَدْ وَقَعَا^(٣)

وإذا جئنا إلى القصائد الطويلة التي هيا الشاعر لها كل أسباب فنه ومواهبه نجدها تبدأ بالدار والوقوف على الأطلال وبكائها والتأمل فيها، فالديار هي ديار الحبيبة، ديار الزكريات، فهي قطعة من الماضي العزيز الذي يثير في نفسه الشوق والحنين وهذا هو أسلوب المعلمات في الاستهلال، فامرؤ القيس يقف الديار ويستوقف:

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذَكَرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ^(٤) * * * بِسَقَطِ الْوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمَلِ

وتبعها لبيد في وصف الديار^(٥)

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلَهَا فَمَقَامُهَا * * * بَمَنِي تَأْبُدُ عَوَّلَهَا فَرَجَامُهَا

وزهير يتحدث عن دمن أم أوفي يقول

أَمِنْ أَمِ أَوْفِي دَمْنَةَ لَمْ تَكَلِّمْ^(٦) * * * بِحَوْمَانِهِ الدَّرَاجِ فَالْمَتَنَّلَمِ

(١) العسكري: هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، كان حياً ٣٩٥هـ، من تصانيفه كتاب الصناعتين في النظم والنشر والمحاسن. ديوان شعر. والفروق في اللغة. (معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج ١/٥٦٠، مرجع سابق).

(٢) أوس بن حجر: بن مالك التميمي، أبو شريح، شاعر تميم في الجاهلية وهو زوج أم زهير بن أبي سلمى، لم يدرك الإسلام، ولد سنة ٩٨هـ. (أنظر الأعلام، خير الدين الزركلي، ج ٣١/٢)

(٣) كتاب الصناعتين، ص ٤٩١، ديوان النابغة، ص ٢٩

(٤) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص ٤٥، ديوان امرؤ القيس، ص ٢٥

(٥) شرح القصائد العشرة، الخطيب التبريزي، ص ٩٥

(٦) المرجع السابق، ص ٢٠٠

وعنترة^(١) يعترف علي الديار بعد طول توهم:

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتْرَدِّمٍ * * أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمٍ

وقد شذ عمرو بن كلثوم^(٢) فقد كان مندفعاً إلي الكاس وشربها ليهيئ نفسه

لعتاب عمر بن هند فبدأها بقوله:

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَأَصْبَحِينَا * * وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الْإِنْدَرِينَا

هذا هو الأسلوب العام في ابتداء المطولات، البدء بالديار وحديثها وذكرياتها، ولكن هذا لا يعني إن كل الشعر الجاهلي كان يفتتح بذكر الديار، فكما شذت معلقة عمر بن كلثوم، فقد شذت قصائد كثيرة عن هذا الأسلوب، فمن الشعراء من قبل استبدل الغزل بالديار، والحديث عن النفس كما فعل زهير بن ابي سلمي في قصيدته التي يمدح فيها حصن حذيفة:

صَحَا الْقَلْبُ عَن سَلْمِي وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ * * وَعُرِّيَ أْفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَاجِلُهُ

وعلي هذه الشاكلة من الخروج علي قاعدة البد بالديار شعر الصعاليك في أكثره فهو يستعويض عن الديار بمحاورة النساء اللواتي يشفقن عليهم من خوض الغمرات والوقوع في المهالك.

وكذلك خاطب عروة بن الورد^(٣) امراته سلمى ابنة منذر بأن تدعه وشأنه في

حياة الصعلكة جزئياً غازياً ببيع نفسه لموت شريف فيقول:

أَقْلِي عَلِيَّ اللَّوْمَ يَا أُمَّ مَالِكٍ * * فَلَمْ يُؤْتِ مِنْ حِرْصِ عَلِيٍّ الْمَالِ طَالِبُهُ

والذي بين أيدينا من مطولات الشعر الجاهلي تدور مطالعها حول الديار، وإذا ضربت عن ذكر الديار، فالي المرأة والتشبيب وأحاديث النفس، نجد أن بعض القصائد القصار والمقطوعات، لم تذكر الديار ولا المرأة وهذا لا يقاس عليها، لأنها تجربة شعورية محدد، ولكن طوال القصائد تتناول هذين الموضوعين المرأة والديار^(٤)

(١) عنترة بن شداد وقيل عمرو بن شداد وقيل عنترة بن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة أمه حبشية يقال لها زبيدة، قد كان شداد نفاه مرة ثم أعترف به فألحق بنسبه وهو فارس وشاعر. توفي نحو ٢٢ق. هـ. (أنظر الأعلام، ج ٩١/٥)

(٢) عمر بن كلثوم: عمر بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن ربيعة بن زهير بن بكر، يكنى أبا السود وقيل أبا عمير وهو فارس وشاعر مقدم كان خطيباً حكيماً أوصى بنيه بوصية بليغة مشهورة هي معلقته. توفي نحو ٤٠ق. هـ. (أنظر الأعلام، ج ٨٤/٥)

(٣) عروة بن الورد: عروة بن الورد بن زيد بن عبد الله بن ناتب بن هريم بن لويم بن عوذ بن غلفان، شاعر الجاهلية وفارس من فوارسها فوارسها وصعلوك من صعاليكها يلقب عروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم. (الأعلام، الزركلي، ج ٢٢٧/٤).

(٤) ديوان أبي تمام، ص ٤٠ بناء القصيدة في النقد القديم في ضوء النقد الحديث، ص ٢٠٧

فقد حدد النقاد شروط للمطلع الجيد فلا بد أن يكون:

١/ أن يكون المطلع فحماً، وله روعته

ومن ذلك قول أبي تمام:

السَيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ (١) * * في حده الحدُّ بينَ الجدِّ واللعبِ

٢/ أن يكون بعيداً عن التعقيد، لأنه أول العي، ودليل الفهمة وقد أخذ علي المتنبّي قوله:

أَرَقُّ عَلِيَّ أَرَقِّ وَمَثَلِي يَأْرَقُ * * وَجَوَى يَزِيدُ وَعَبْرَةٌ تَنْتَرِقُ

٣/ أن يكون نادراً أنفرد الشاعر باختراعه، ومن مثل قول المتنبّي (٢)

أَثْرَاهَا لِكَثْرَةِ الْعُشَاقِ * * تَحَسَّبُ الدَّمْعَ خِلْفَةً فِي الْمَاقِي (٣)

٤/ أن يكون خالياً من الماخذ النحوية، وأن تراعي فيه جودة اللفظ والمعني معاً

وعاب النقاد علي أبي تمام (٤)

سلم علي الربع من سلمى بذي سلم عليه وسم من الأيام والقدم

لأنه جاء بالتجنيس في ثلاثة ألفاظ، وإنما يحسن إذا كان بلفظين

٥/ أن يكون بارداً من مثل قول أبي العتاهية (٥)

ألا ما لسيوف مالها * * أدلت فأحمل أدلاها

والمطالع الرديئة فقد فسرها ابن رشيق وأرجعها إلي الشاعر نفسه يقول: "

وإنما يؤتي الشاعر في هذه الأشياء العيوب إما من غفلة في الطبع وغلظ، أو من

استغرق في الصنعة وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول أينما يكون (٦)

(١) النقد الحديث، ص ٢٠٨، ديوان المتنبّي، ج ٢، ص ٣٣٢

(٢) المتنبّي: أبي الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الشاعر المعروف بالمتنبّي، ولد بالكوفة ونشأ بالشام، خرج المتنبّي من بغداد إلي فارس فمدح بها عضد الدولة وأقام عنده مدة، ثم رجع يريد بغداد فقتل في الطريق سنة ٣٥٤هـ، من آثاره ديوان شعر، الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور المسعاني، ٥٦٢هـ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط ١ بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ج ٥، ص ٧، ص ٧٢. ومعجم المؤلفين، ج ١، ص ١٢٦.

(٣) بناء القصيدة في النقد القديم في ضوء النقد الحديث، ص ٢٠٩ - ٢١٠

(٤) أبو تمام: هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أحمد أمراء البيان، ولد في جاسم (من قرى ديوان بسوريا)، فاقام في العراق، ثم ولي بريد الموصل وتوفي بها سنة ٢٣١هـ ومن آثاره ديوان شعر، (أنظر معاهد التنصيص علي شواهد التلخيص، ٣٨/١، مرجع سابق).

(٥) أبو العتاهية: هو إسماعيل بن قاسم بن سويد بن كيسان العنزري بالولاء، العيني المعروف بأبي العتاهية، ولد بعين تمر، ونشأ بالكوفة، ثم سكن بغداد وتوفي بها سنة ٢١١هـ. أكثر شعره حكم وأمثال، من آثاره ديوان شعر. (أنظر مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لليافعي، ط ١، ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج ١، ص ٣٧٤)

(٦) العمدة، لابن رشيق، ص ١٩٥

مقدمة القصيدة:

مقدمة القصيدة ظاهرة كبرى في شعرنا القديم من اللافت للنظر أنها لم تكن واحدة حتى في العصر الجاهلي، فإلى جانب المقدمات الغزلية والطللية مقدمات أخرى في الشيب والطيف وغيرها.

حيث تناول النقاد مقدمة القصيدة نظروا إليها من خلال القصيدة الجاهلية التي استمدوا منها قواعدهم وبنوا عليهم أصولهم^(١)

نص ابن قتيبة السابق يكشف لنا عن أشياء في فهم ابن قتيبة لقصيدة، فهو يري أن القصيدة تتألف من الوقوف على الأطلال والغزل ووصف الرحلة يؤكد ابن رشيق حيث يعيب الشعراء الذين يهجمون على الفرض مكافحة، ويتناولونه هامشا من غير أسباب ولا يجعلون لكلامهم بسبا من النسب، وتسمى قصائدهم في هذه الحالة البتراء كالخطبة البتراء^(٢)

يكشف النص عن سبب المقدمة وأهمية هذا السبب، فالأطلال لذكر أهلها الضاعنين، والغزل لاستمالة القلوب واستدعاء أصغاء الأسماع، ويؤكد ابن رشيق هذا أيضا فيقول: وللشعر مذاهب في افتتاح القصائد بالنسب، لما فيه من عطف القلوب، واستدعاء القبول، بحسب ما في الطباع من حب الغزل، والميل إلى اللهو والنساء وإن ذلك استدراج إلي ما بعده^(٣)

ويري يوسف حسن بكار أن هذا التعليل والترويج لحتمية الغزل مقدمة للقصيدة فيه إفراط وتقريط لأن الحجة القائمة على أن الله جعل محبة الغزل وآلف النساء في تركيب العباد لا تعني استغلالها بهذا الشكل وفي كل مجال لتصبح شرطا لا بد للشاعر من الإتيان عليه في مقدمة قصائده التي لم يستثنوا منها إلا الرثاء الذي لم يكن عادة الشعراء أن يقولوا قبله غزلا مثلما هو الشأن في سائر الأغراض فيما عدا قصائد معدودة^(٤).

(١) لعمدة، لابن رشيق، ص ٢١٢

(٢) المرجع السابق، ص ٢١٢

(٣) المرجع السابق، ص ١٩٧

(٤) بناء القصيدة في النقد العربي القديم، ص ٢١٣

ويخلص إلي القول بأن قطعة النسيب في مطلع القصيدة الجاهلية كانت المجال الذي يصور فيه الشاعر إحساسه بتلك العناصر الكونية وموقفه منها وأن الشاعر قد جمع في قطعه النسيب بين عنصرين، أحدهما يذكر بالفناء وهو الأطلال والآخر يذكر بالحياة هو الحب، واجتماع هذين النقيضين وارتباط أحدهما بالآخر تأكيد لإحساس الشاعر بالتناقض العام سواء في العالم الخارجي أو عالمه الباطني هذا التناقض ليس تناقضا فكريا أو لفظيا، بل تناقض وجدني يتمثل في واقع الحياة، كما يتمثل في كيان الفرد الحسي، وهذا ما يفسر للناقد أن مقدمة القصيدة لم تكن إلا تعبيراً عن الا أزمة الإنسان في ذلك العصر، وعن موقفه من الكون وخوفه من المجهول^(١).

والقصيدة المؤلفة عن نظام دقيق، ينبغي استهلالها بالنسيب، والحنين إلي الحبيبة النائية، وذلك الحنين الذي يعترى الشاعر عند رؤية أطلالها الدائرة وهو راكب في القفار^(٢)

وقد أصبحت المقدمة الطللية بكل صورها وألوانها تؤدي وظيفة خلق هذا الجو الشعري، الذي يمنح الشاعر القدرة إلي القول، لأنه يصبح في حالة معاناة شعرية حادة، تمده بالمشاعر التي تمكنه من التنفيس عن كل ما يحتبس في نفسه من الإحساسات، يدور في ذهنه من الأفكار والحوادث، وهو في نفس الوقت يهيئ الجو المناسب للمستمع الذي يجد في هذه المعاناة شيئا لما يحسه هو، فينشئ الشاعر بهذه البداية لنفسه ولسامعه وقارئه حالة شعورية مليئة بعواطف الحنين والشوق والاستعداد للإنشاد أو الاستماع أو المتابعة يبتعد فيها الإنسان عن كل ما يحيط به، أو يتصل بحياته القريبة، وهذا ما دفع الشعراء إلي التزامها، والتقيد بمعانيها، والمحافظة علي اصولها.

ولا شك في إنها تمثل تجربة الرحلة التي قامت عليها الحياة الجاهلية، فالحنين إلي الطلل يمثل الحنين للوطن، لأن الطلل وما يحيط به وما يتناثر حوله من الدمن يمثل مجموعة الذكريات التي عاشت في ذهنه، فحفظ لها أجمل الأوقات وأسعد

(١) بناء القصيدة من النقد العربي القديم، ص ٢١٣

(٢) الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص ٣٦١

الأيام، فلا غرابة إذا وجدنا الشاعر الجاهلي يبرز ذاتية ويفرغ شخصيته، انعكست هذا الذاتية في الشكل العام للقصيدة الجاهلية فهو عند ما ينتهي من وقوفه عند الطلل الدارس، ينتقل إلي ما يتعلق بالطلل من ذكريات، ليس ذكريات أعذب في نفسه من ذكريات الأحبة، فيذكر حبيبته وذكرياته معها وطيفها ووصلها وهجرها ، وكل ما يتعلق بها^(١)

وفي مفتاح القصائد الطوال يذكر الشعراء كثيرا من أسماء من يحبون، ويضيفون الطلل اليهن، وتعليل ذلك أنهما مقترنان اقترانا عاطفيا وذهنياً فضلاً عن الاقتران المكني يقول طرفه: (لخولة اطلال) ويقول زهير: (امن أو اوفي) وفي الأبيات الأولى في معلقة امرؤ القيس يذكر : (أم الحويرث وأم الرباب) هذه أسماء لها واقع في حياة الشاعر وتجاربه، وله مع المسميات ذكريات وربما يلذ له أن يرددتها علي لسانه ويتغنى بها في شعره

(١) الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص ٢٦١

الفصل الثاني

الغزل

وفيه مقدمة وثلاثة مباحث

مقدمة عن حقيقة الغزل

المبحث الأول : الغزل عند الشعراء الجاهليين

المبحث الثاني : أثر البيئة والطبع في الغزل

المبحث الثالث : التخلص في القصيدة الجاهلية

مقدمة عن حقيقة الغزل

دارت علي الألسن والأقلام منذ عهد بعيد هذه الكلمات الثلاث الغزل، النسيب، والتشبيب، واختلف في مدلولها، فهي مترادفات تؤدي معني واحد، أم هي مختلف الدلالة.

ويحسن بي أن ألم في إيجاز بما أدلي به اللغويون والأدباء، ثم أختار الرأي الذي أميل إليه.

ابن سيده^(١) يقول: أن الغزل تحديث الفتيان الجواري أو التغزل، وتكلف ذلك والنسب: التغزل بهن في الشعر، والتشبيب مثله^(٢)

وابن منظور^(٣) يقول: إن الغزل حديث الفتيان والفتيات والفتيات واللهم مع النساء، ومغازلتهم: محادثتهم ومرادتهم، والتغزل التكلف لذلك، وفي المثل هو أغزل من امرئ القيس.

ويقول في موضع آخر: نسب بالنساء ينسب نسبا^(٤) ونسبياً ومنسبه، شيب بهن في الشعر وتغزل^(٥) وفي موضع ثالث: شيب بها أي ينسب بها^(٦).
فالكلمات مترادفات في رأي هؤلاء ، وهم أكبر علماء اللغة
فما رأي الأدباء؟

ابن سلام^(٧): وهو - أول من كتب في تاريخ الأدب - يستعمل الكلمات الثلاث متحدة المعني. يقول : كان لكثير في التشبيب نصيب وافر^(٨)

(١) ابن سيده: علي بن إسماعيل الأندلسي المرسي الضرير، المعروف بابن سيده (أبو الحسن) عالم بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب، ولد بمرسية سنة ٣٩٨هـ، وتوفي بداية ٤٥٨هـ، من تصانيفه المحكم والمحيط الأعظم، والمخصص. (أنظر معجم المؤلفين عمر رضا كحالة، ٤٠٥/٢، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، لإسماعيل باشا البغدادي، طبعة استانبول ، ١٩٥١م، منشورات مكتبة المثنى ببغداد، ٦٩١/١

(٢) المخصص ٥٤/٤٠-٥٥

(٣) ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم بن نجيب الدين أبو الحسن علي بن أحمد الأنصاري الرويفعي الإفريقي، نزيل مصر، ولد سنة ٦٣٠هـ ، وتوفي سنة ٧١١هـ بمصر، من آثاره لسان العرب في اللغة عشرين مجلداً، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر. (أنظر هدية العارفين، ج، ص ١٤٢)

(٤) لسان العرب ٤/٤

(٥) مرجع سابق ٣/٢

(٦) مرجع سابق ٤٦٣/٢

(٧) ابن سلام: هو محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم البصري الجمحي (أبو عبد الله) مولي قدامة بن مظعون، قدم بغداد سنة اثنين وعشرين ومائتين، توفي ٢٣١هـ من تصانيفه: طبقات شعراء الجاهلية، طبقات شعراء الإسلام. (أنظر كتاب الوافي بالوفيات، صلاح

ويقول: " سبق امرئ القيس العرب إلي أشياء ابتدعها... منها رقة النسيب^(٢) في العبارة الأولى يقول : إن كثيرا ذو تشبيب ، ويقرر أن الكثير كان له نصيب وافر في التشبيب وفي العبارة الثانية نجده ينسب إلي امرئ القيس رقة النسيب.

إذن فالنسيب والتشبيب معناهما واحد وأن الغزل والنسيب والتشبيب كلمات مترادفة في رأي ابن سلام.

ورأي ابن رشيقي أن : التغزل والتشبيب مترادفتين في قول الجاحظ^(٣) " فأما الغناء المطرب في الشعر الغزل فإنما ذلك من حقوق النساء" وإنما ينبغي أن تغني بأشعار الغزل والتشبيب والعشق ولصبا به النساء اللواتي فيهن نطقت تلك الأشعار، وبهن شبب الرجال^(٤).

وأن بعض القدماء والمحدثين دلوا التفرقة بين الغزل والنسيب والتشبيب ولكنهم أعتدوا في تفرقتهم علي الذوق الشخصي.

فمثلا حاول التبريزي^(٥) أن يفرق بينهما فقال: " النسيب ذكر الشاعر المرأة بالحسن والأخبار عن تصرف هواها به، وليس هو الغزل، وإنما الغزل والاشتغال بمودات النساء والصبوة إليهن، والنسيب ذكر ذلك والخبر عنه^(٦) لهذا أري أن أخذ برأي اللغويين والأدباء من القدماء، فلا أفرق بين مدلولات هذه الكلمات.

الدين خليل بن أبيك الصفدي، ت ٧٦٤هـ، تحقيق أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ج٣، ص٦٩)

(١) طبقة الشعراء، لابن سلام، ج٢، ص١٨٤

(٢) المرجع السابق، ص٢٠٣

(٣) الجاحظ: هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، البصري، أبو عثمان ولد بالبصرة، وسمع من ابي عبيدة الأصمعي وأخذ النحو عن الأخفش أبي الحسن، ينسب إليه الفرقة الجاحظية، أقام ببغداد مدة، من تصانيفه: الحيوان، البيان والتبيين، رسائل الجاحظ. (أنظر هدية العارفين، ١/٨٠٢، مرجع سابق)

(٤) رسالة العشق والنساء، ص١٦٥ من مجموعة رسائل الجاحظ.

(٥) التبريزي: يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني، المعروف بالخطيب التبريزي، نشأ ببغداد، ورحل إلي بلاد الشام، ولد سنة ٤٣٧هـ، وتوفي ببغداد. من تصانيفه: شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، شرح المعلقات، شرح سقط الزند، لأبي العلاء المعري.

(٦) انظر معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج٣/١٧٢، مرجع سابق، والأعلام للزركلي، ج٨/١٥٧

(٧) شرح ديوان الحماسة، ج٣، ص١١٢

وقد أخترت كلمة الغزل دلالة علي الأنواع كلها، لأنها أخف نطاقاً وأكثر شيوعاً، والي ذلك ذهب الدكتور طه حسين^(١)، حيث يقول : " ينقسم الغزل أيام بني أمية إلي ثلاثة أقسام أكثر شيوعاً: أحدهما غزل العذرين الذين كانوا يتغنون في شعرهم هذا الحب العفيف، والثاني غزل الإباحيين الذي كانوا يتغنون الحب، والثالث الغزل العادي الذي ليس هو حقيقة... إلا استمرار للغزل القديم المألوف أيام الجاهليين"^(٢).

(١) طه حسين بن علي بن سلامة الدكتور في الأدب من كبار المحاضرين، جدد مناهج، ولد في قرية الكيلو بالصعيد المصري، أصيب بالجذري في الثالثة من عمره، فكف عن بصره، بدأ حياته في الأزهر ١٩٢٠-١٩٠٨م، أول من نال شهادة الدكتوراه من الجامعة المصرية القديمة، ١٩١٤هـ بكتاب ذكرى أبي العلاء من كتبه حديث الأربعاء في الأدب الجاهلي، في الشعر الجاهلي وغيرها. توفي في سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م. (أنظر الإعلام ، خير الدين الزركلي، ج٣/٢٣١).

(٢) حديث الأربعاء، ج١، ص ٢٣٣

المبحث الأول

الغزل عند الشعراء الجاهليين

الغزل لغة مصدر الفعل الثلاثي غزل يَغزِلُ يتغزلُ بالنساء وهو نوعان غزل بدوي عفيف مقصور علي إمراة واحدة يمتاز بالصدق يسمي لرقته نسيبا ومثله عنتره بن شداد، وغزل بدوي مادي يتصف بالإباحة وتعدد المحبوبات ويسمي تشبيبا وقد مثله امرئ القيس الكندي لما طرق امراة حبلى وشغلها عن رضيعها

فَمِثْلُكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ * * فَالهِئْتُهَا عَن ذِي تَمَائِمٍ مُحَوِّلٍ

ومن أمثلة النسيب قول عنتره مخاطبا ريح الحجاز

رِيحَ الْحِجَازِ بِحَقٍّ مِنْ أَنْشَاكَ * * رُدِّي السَّلَامَ وَحَيٍّ مِّنْ حَيَّاكَ

وامرئ القيس طالبا من فاطمة الاجمال في الهجران جامع مشاعر الحب

أَفَاطِمَ مَهَلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ * * وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَرْمَعْتُ صَرْمِي فَأَجْمَلِي

ويبدو أن الغزل سبق ظهور الموضوعات الأخرى لقول امرئ القيس الملقب

بـ (زعيم الشعراء) في عصره^(١)

إن كثيرا من الشعراء يصف الجمال ويصف ما كان يتزين به من طيب وحلي

وثياب علي نحو ما تصور ذلك امرؤ القيس إذ يقول:

وَتُضْحِي فَتَيْتُ الْمِسْكَ فَوْقَ فَرَاشِهَا * * نَوُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَن تَفْضُلِ

ويقول المنخلا اليشكري^(٢) في فتاته^(٣)

الكاعب الحسناء ترفل في * * الدمقس وفي الحرير

ولم يقفوا علي جمالهن الجسدي، فقط فطنوا في جمالهن المعنوي وما تتحلى

به من شيم وخصال كريمة علي نحو ما يقول الشنفرى في زوجته أميمة^(٤)

تَبَيُّتُ بُعَيْدَ النَّوْمِ تُهْدِي غَبُوقَهَا * * لِجَارَتِهَا إِذَا الْهَدِيَّةُ قَلَّتِ^(٥)

(١) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، د. زبير دراق، ص ٥٢-٥٣

(٢) المنخل اليشكري: هو المنخل بن مسعود بن عامر بن يشكر، شاعر جاهلي، كان ينادم النعمان بن المنذر، وهو الذي سعي بالناطقة إلي النعمان في أمر المتجرده. توفي نحو ٢٠ ق.هـ. (أنظر الأعلام، ج ٧/٢٩١)

(٣) الاصمعيات، ص ٥٥

(٤) المفضليات، ج ٢٠

(٥) تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ط ١١، ص ٧٤-٧٥

فصاحبته وقوره وكريمة تؤثر جارتها وإنها مثال العفة والجلال، وكانوا يفتتحون قصائدهم بذكرهن وما كان لهم من ذكريات علي نحو ما يقول امرئ القيس في معلقته

قَفَا نَبَاكَ مِنْ ذَكَرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ * * بِسْفَطِ الْوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمِلِ
ليس في ديوان المفضليات سوى قصيدتين خالصتين للغزل واحدة للمرقش الأكبر وهي الدالة التي مطلعها:

سَرَى لَيْلًا خِيَالُ مَنْ سُلَيْمَى * * فَأَرْقَنِي وَأَصْحَابِي هُجُودُ

والقصيدة الأخرى للمرقش الأصغر وهي الميمية التي مطلعها:

أَلَا يَا سُلَيْمَى لَا صُرْمَ لِي الْيَوْمَ فَاطِمَا * * وَلَا أَبَدًا مَا دَامَ وَصْلُكَ دَائِمًا^(١)

ثم يقدم فكرة تدور حول الصداقة ثم يتحدث عن أحلام اليقظة التي كان يستغرق فيها كلما ألمت به ذكرى صاحبته

أَمِنْ حُلْمٍ أَصْبَحْتَ تَنَكُّتُ وَاجِمَا * * وَقَدْ تَعْتَرِي الْأَحْلَامُ مَنْ كَانَ نَائِمًا^(٢)

إن النسب أكثر أبواب الشعر العربي وأكثر الشعراء الجاهليون وابتدأ به قصائدهم^(٣).

وإن النسب هو ذكر جمال المرأة ووصف محاسنها وإن الغزل والنسب متقاربان في المعنى وإن كان بعض الباحثين يعرف بأنه الأشهر بمودات النساء والتشبيب قاصر علي ما يأتي به الشاعر في مطلع من ذكر المرأة والأطلال والديار وذكر اللقاء والحب وبعض الباحثين يري أن الجميع بمعنى واحد لاختلاف في مدلولها.

وأن امرؤ القيس في لاميته المشهورة:

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَنْفِي * * بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مُطْفِلِ

وَجِدِّ كَجِدِّ الرِّمِّ لَيْسَ بِفَاحِشٍ * * إِذَا هِيَ نَصَّتَهُ وَلَا بِمُعْطَلٍ^(٤)

ولا تكاد تخلو قصيدة عمرو بن كلثوم

(١) المفضليات، ج ٤٦، ص ٢٢٣

(٢) المرجع السابق، ج ٥٦، ص ٣٤٤

(٣) معلقة امرؤ القيس، ص ٢٩

(٤) معلقة امرؤ القيس، ص ٢٩

فِي قَبْلِ التَّفَرُّقِ يَا ظَعِينَا * * نُخَبِّرُكَ الْيَقِينَا وَتُخْبِرِينَا
فِي نَسْأَلِكَ هَلْ أَحَدْتِ صَرْمًا * * لَوْشِكِ الْبَيْنِ أَمْ خُنْتِ الْأَمِينَا^(١)

وقال زهير في غزله:

أَمِنْ أُمَّ أَوْفِي دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ * * بِحَوْمَانِهِ الدُّرَاجِ فَالْمُتَلَمِّمْ
وَدَارُ لَهَا بِالرَّقَمَتَيْنِ كَأَنَّهَا * * مَرَاجِعُ وَشِمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمٍ^(٢)

وقال طرفه هي قصيدته المفردة في الغزل يصف ثغرها العذب النضيد

ومطلعها"

وتبسم عن المي كأن منورا تخلل حرة الرمل وعقب له ندى^(٣)
سئل لبيد^(٤) من اشعر الناس؟ فقال الملك الضليل، ثم الشاب القليل، ثم
الشيخ أبو عقيل يعني نفسه^(٥) وهو من أصحاب المعلقات.

ويبدأ لبيد يذكر الديار ثم يصف رحيل أحبائه عنها حيث يقول:

بَلْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ نَوَارٍ وَقَدْ نَات * * وَنَقَطَّتْ أَسْبَابُهَا وَرِمَامُهَا
مُرِيَّةٌ حَلَّتْ بِفَيْدٍ وَجَاوَرَتْ * * أَهْلَ الْحِجَارِ فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا^(٦)

وقال الحارث بن حلزة اليشكري^(٧) وتمتاز معلقته بتنوع أغراضها بدارها بالغزل

في محبوبته أسماء:

أَذْنَتْنَا بَيْنِيهَا أَسْمَاءُ * * رَبِّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ النَّوَاءُ
بَعْدَ عَهْدِ لَهَا بِبِرْقَةٍ شَمًا - ء فَأَدْنَى دِيَارِهَا الْخَلْصَاءُ^(٨)

(١) معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٩

(٢) معلقة زهير، ص ١، ٢

(٣) معلقة طرفه، ص ٤

(٤) لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، من أهل عالية نجد، أدرك الإسلام، ووفد علي النبي صلى الله عليه وسلم، يعد من الصحابة ومن المؤلفة قلوبهم، ترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً، وسكن الكوفة وعاش عمراً طويلاً، أحد أصحاب المعلقات السبع، توفي سنة ٤١هـ (أنظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر القرطبي، ت ٤٦٣هـ، تحقيق علي محمد معوض، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ج ٣، ص ٣٩٢، والأعلام، ج ٥، ص ٢٤٠).

(٥) الشعر والشعراء، ج ٢، ص ٨٨

(٦) الشعر والشعراء، ص ٢٩٣

(٧) الحارث بن خلة بن مكروه بن يزيد اليشكري الوائلي، شاعرت جاهلي من بادية العراق وهو أحد اصحاب المعلقات، ارتجل معلقته بين عمرو بن هند الملك، بالحيرة، من آثاره ديوان شعر، توفي في ٥٠ق.هـ. (أنظر الأعلام، للزركلي، ج ٢، ١٥٤)

(٨) تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، الطبعة العشرون، ص ٣٦١

الغزل عند الأعشى^(١) :فيه رقة^(٢) وشدة في التعلق بالمحبة وخاصة حين
الوداع وذلك في معلقته:

وَدَّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الزَّكَبَ مُرْتَحِلٌ * * وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ
غَرَاءُ فَرَعَاءُ مَصْقُولُ عَوَارِضِهَا * * نَمَشِي الهُوبِنَا كَمَا يَمَشِي الوَجِي الوَحِلُ
فهو يأمر قلبه أن يودعها قبل الرحيل وهي صباية لا نعرفها عند الجاهليين،
إنما نعرفها عند الأعشى صاحب الذوق الرقيق فهو مشيب بصاحبته فهي موضوع
حبه وغزله وتارة يصف شعرها وعوارضها ويصف مشيتها.
وقال عنتره في معلقته التي بدأها بالغزل في ابنة عمه عبلة ومخاطب ديارها
ذات الذكريات الجميلة قال:

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ * * أَمْ هَلْ عَرَفَتِ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهُمٍ
يَا دَارَ عِبَلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي * * وَعَمِي صَبَاحاً دَارَ عِبَلَةَ وَأَسْلَمِي^(٣)
وقد ذكر إبراهيم بن سعد الزهري^(٤) أنه جاءه رجل من بني عذرة لحاجة،
فجرى ذكر العشق والعشاق فقال: أنتم أرق قلوباً أم بنو عامر، قال: إنا أرق الناس
قلوباً لكن غلبتنا عامر بجنونها^(٥).
قيل لأعرابي: ممن أنت؟ فقال: من قوم إذا أحبوا ماتوا، فقالت جارية سمعته:
عزري ورب الكعبة^(٦)

فلا عجب إن ترددت أخبار عشهم وعشاقهم^(٧)

(١) الأعشى: ميمون بن قيس بن جندل بن شراحبيل بن عوف بن سعد المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل،
والأعشى الكبير (أبو بصير) من شعراء الجاهلية وأصحاب المعلقات، ولد في قرية منفوخة باليمامة قرب مدينة الرياض، كثرت
الألفاظ الفارسية في شعره. أدرك الإسلام ولم يسلم. توفي ٥٧هـ. (أنظر معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج ٣،
ص ٩٤٩).

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة

(٣) معلقة عنتره، ص ١

(٤) إبراهيم بن سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أبو اسحاق الزهري من العلماء بالحديث، الثقات، من أهل المدينة المنورة،
روى

(٥) الأغاني، ج ١، ص ١٧٣

(٦) وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٠٣، وعيون الأخبار، ج ٤، ص ١٣١

(٧) ديوان الصباية، ج ٢، ص ٥٥

كان الشاعر يتغزل فيمن أحبها، هو يعلم صراحة العقاب المعد له، ولكنه يتغزل ليخفف من الحب الذي يحمله، فهو يشبع ويشتهر فيه فيرفض آل المحبوبة أن يزوجه، لأن العرب كانت لا تتكح الرجل امرأة شلل بها قبل خطبته لهذا الأمر حرم عنتره زواج عبلة لأنه مدح بحبها وتغزل فيها^(١).

أنواع الغزل:

الغزل ينبعث عن عاطفة الحب، إن هذا الحب إما أن يصطبغ بصبغة روحانية عفيفة فيوحي بالغزل العذري، إما أن يصطبغ بميل حسي شهوري فيوحي بالغزل الحسي.

فالغزل الصادق عن العاطفة المصور لها نوعان آخرين من الغزل، هما الغزل التمهيدي والغزل الكيدي، والتمهيدي أحيانا يصور عاطفة يكون عزرياً روحياً وأحياناً عاطفة فيكون هو الكيدي غزلاً في شكله لا في حقيقته وباسمه لا بمعناه^(٢).

الغزل العذري:

غزل روحي خالص لا تخالطه نوازع جسدية اشتهر فيه بنو عذرة ونسب إليهم، وهذا الغزل فيه صدق العاطفة وحرارتها والاقتصار علي محبوبة واحدة، والعناية بجمالها النفسي أكثر من الحسي وهذا الغزل المقصود لذاته وليس وسيلة إلي غرض آخر، ولكن هذا لا يقلل من قيمته، لأنه غزل صادق^(٣) وقد مثله عنتره بن شداد^(٤).

الغزل الحسي:

هو المادي الذي أساسه تمتزج به ميول شهوانية أو عواطف خالية من التحرج وأوصاف ربما لا يرضي عنها وهو تعبير عن الحب والشوق والاستمتاع بالمرأة الجميلة في نظر الشاعر، فليس متسماً بالروحانية التي وجدناها عند العذرين، ولا حافلاً بالأشواق الملتهبة والنغم الحزين ولا مقصور علي امرأة واحدة يتغني الشاعر حياته بحبها وفيها لها، وقد يجمع في قلب الشاعر حب اثنين في آن واحد في كل

(١) المرجع السابق، ص ٢٤

(٢) الغزل في الشعر الجاهلي، ص ١٦٥

(٣) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ص ٥٢

(٤) المرجع السابق، ص ٢٥٠

منهما قرب من الجمال يرونه^(١) فهو غزل حضري مادي يتصف بالإباحية وتعدد المحبوبات ويسمى للهو تشبيها وقد مثله امرؤ القيس الكندي^(٢).

الغزل التمهيدي :

هذا الضرب من العذري وفيه من الحسي وفيه لون ثالث لا هو عذري ولا هو حسي وإنما هو من الغزل مصطنع وكان لا يقال في مطلع القصائد.

أما العذري فيمثله عنتره في أول معلقاته في مطالع بعض قصائده مثل قوله:
أشأقك من عبل الخيال المبهج * * فقلبك منة لأعج يتوهج

أما الحسي وإن كان أقل فحشاً فيمثله غزل امرؤ القيس في أول المعلقة أما الصناعي الذي لم تعثه عاطفة عذري ولا حسي فكثير^(٣).

الغزل الكيدي :

هذا النوع من الغزل لا هو عذري ولا هو حسي ولا هو تمهيدي فليس عذرياً ولا حسياً، لأنه غير مبعث من عاطفة ليس تمهيدي، لأن الغرض فيه لم يكاد إعداد النفس للإنتاج، وتهيئة الجو للموضوع وإعداد السامع للأصغاء، وإنما كان الغرض منه الكيد والإغاطة وتجريح الخصم والنيل من عرضه فهو لون من الهجاء يتسم بالتصوف في التعبير والتعفف في المعنى فليس فيه إفحاش^(٤).

فقد تغزل الشعراء في العصر الجاهلي فقد تغزل امرؤ القيس والنايعة والأعشي، تغزلوا وذكروا النسب، ولم يكونوا يعنون بدخائل نفوسهم، إنما كان الغزل عندهم ضرباً من الوصف، كانوا يصفون بالعاطفة أو حرصاً على تمثيلها، فإن كانت عندهم هذه العناية بالعاطفة لم تلبث أن تزدرى هذه العاطفة ازدراء لأنها كانت عاطفة مادية غليظة أن صح هذا التعبير، وكانت عواطفهم تصدر عن الشهوات وإثار اللذة وقبل كل شيء، ومن هنا تجد عند امرئ القيس والنايعة مثلاً هذا الوصف

(١) المرجع السابق، ص ٢٥٠

(٢) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ص ٥

(٣) المرجع السابق، ص ٢٨٦

(٤) الغزل في الشعر الجاهلي، ص ٢٨٧

المادي الذي تناول أجزاء المرأة فيصفها وصفا تفصيلياً يختلف حظه من العفة فإن تركوا هذا الوصف إلي أنفسهم يصفوا ما تعاني الحب وما تلقي من آلامه. نجد أن الغزل في العصر الجاهلي كان وسيلة في أكثر الأحيان لا غاية^(١)

(١) حديث الأربعاء ، ص ٢٢٥

المبحث الثاني

أثر البيئة والطبع في الغزل

الغزل الصادق في تصويره لمشاعر قائله صادق أيضا في تصويره لبيئة قائله وأخلاقهم وطباعهم وعاداتهم، فهو قد استوجب من البيئة الطبيعية والاجتماعية، وكان مصور له تصويرا أميناً^(١).

فطن عرب الجاهلية علي البساطة، والبعد عن التصنع، شأن أهل البادية، لبعدهم عن شوائب المدنية، فهم علي الفطرة الطبيعية وعنوانها الصدق بكل معانيه، ويدخل فيه استقلال الفكر والشجاعة الأدبية والصراحة في القول والتعامل، فلم يتكلفون في شيء ولا يصطنعون في كلامهم، إنما يقولون ما ينحوا لهم ويصورنه كما يتمثل لمخيلتهم دون تعقيد.

تعودهم الاستقلال في شئونهم الشخصية ونفورهم من التعقيد بشيء حتى المكان، فإنهم لا يتوطنون، بل يجعلون منازلهم من ظهور أبلهم، فتمكنت الحرية في طباعهم حتى ظهرت في أقوالهم وأفكارهم وفي أشعارهم فإذا طرأ لهم خيال شعوري صوره كما يتخيل لهم.

البدوي يعبر عن حبه عن شوقه وهيامه يصف ما يشعر به تماماً فهو لا يبالي بضعفه من الوجد حتى يزعم أنه صار خيالاً أو طليقاً^(٢).

كان يحلون المرأة من نفوسهم محلاً سامياً، وشاءت لهم حياة الحل والترحال أن ينعموا باللقاء ثم يشقوا بالفراق، فحلفت أشعارهم بوصف المرأة والديار^(٣).

احتل الحديث عن المرأة وحليها وجمالها وهجرها ووصالها صدور كثير من قصائد الشعر الجاهلي، وكأنما اتخذ منها كل شاعر ملهما يلهمه قصيدته، فهي مصدر الإلهام ومصدر الوحي والشعر، وقد يكون ما يدل علي مكانة المرأة عندهم، وإنما لم تكون يوماً في موضع معين خاصة المرأة الحرة الشريفة، كانت تختلط بهم

(١) الغزل في العصر الجاهلي، ص ٣١٢

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية، جرجس زيدان، ١٩٨٣م، ١، ج ٧٧، دار مكتبة الحياة بيروت - لبنان

(٣) التاريخ الأدبي للعصرين الجاهلي والإسلامي، ص ٤٦

في كل أنحاء حياتهم في المرعي وفي الخيام، وفي السمر وأثناء الليالي المقمرة تبادلهم الأحاديث، وتبادل الحب والود الفطري.

وكثيراً ما كان بعض عشائر القبيلة تضطر إلى الرحلة وراء الغيث ومساقط الكلا، فكان كل منهم يحمل في أطوائه مع رحلاته ذكريات الأيام الحلوة التي قضاها مع إحدى الفتيات، يواصلها، وتتماد معه في الوصال البرئ. وكان كثير من النساء الحرات الشريفات، تكفيهن الاماء مؤنه الطبخ، وضرب الخيام، وجلب الماء والغسل، فعشن حياة ناعمة مترفة يفرغن لانفسهن ويعتتين بجمالهن^(١).

كانت البيئة العربية ذات أثر من إحلال المرأة العربية هذه المكانة والبيئة بما حفلت من جمال، وبما دفعت إليه من شطف العيش وجهده، وبما استلزمته من تعاون قبلي، خلقت من العرب فارساً يعتد بالبطولة والوفاء، وحماية الجار، ومن شيم الفارس أن يكون صادق العاطفة في حبه، يري في خضوعه لحبيته وفي المخاطرة في سبيلها وحمائتها، مظهر من مظاهر رجولته، وكان طبيعياً أن تشغل المرأة فراغ ذلك المجتمع البدوي، لهذا كانت المرأة محور حديثهم ومتجه أفكارهم.

علي كل حال تمتعت المرأة الحرة بمكانة سامية، إذ كان من حقها أن تختار زوجها كما فعلت هند بنت عتبة^(٢)، وكانت تشترك في الحرب وتسعف الجرحى، وتحمل الماء وتطوف بها علي الفرسان وقد تكون عيناً لقومها علي أعدائهم، إذا تقاعس أهلها واستكان أخوانها وتعدوا عن الأخذ بالثأر حيث تلومهم وتعيرهم^(٣).

عاشت المرأة العربية إلى جانب العربي وشاركته عيشه في السلم والحرب وقاسمته الحياة السراء والضراء وفي عيش قاسي وعنيف، فكانت مدار حديث الرجل وموضع فخره^(٤).

(١) مقدمة القصيدة العربية، حسين عطوان، ص ٥٢

(٢) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أم معاوية، أسلمت عام الفتح بعد إسلام زوجها سفيان بن حرب بن معاوية، شهدت أحد كافة مع زوجها، توفيت في خلافة عمر في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة والد أبي بكر الصديق، توفيت سنة ١٤ هـ.

(أنظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر القرطبي، ٤، ٤٧٤، مرجع سابق. والإعلام للزركلي، ج ٨/٩٨).

(٣) النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ج ١/٧/١٩٧٣، ص ١٨٩، الدار الثقافة - بيروت - لبنان.

(٤) المرجع السابق، ص ٥٢

وعلي الرغم من أن الطابع العام كان العربي يحفل بالعاطفة لأنه يشارك فيها حبيته، ولأنها مظر لخلق الفروسية فيه^(١).

فمن أشهر المواطن التي أقيمت للعرب اللقاء والتحدث إليها، البيوت والخيام حيث ينشئون معاً، يلعبون ويتحدثون أحاديث توجد في عواطفهم، وتجمع قلوبهم، ثم يشبون ويشب الحب معهم، وما تكاد أعوادهم تشتد، وتدرك عقولهم حقيقة الحياة، وتفتح عيونهم علي ذكريات الطفولة البريئة حتى يفصل بعضهم عن بعض لسبب من الأسباب، ولكن الذكريات تظل عالقة بأذهانهم^(٢).

وكان يلتقيان أيضاً في مضارب الخيام علي مدار فصول السنة وأن حياتهم قامت علي انتجاع مساقط العيش ومنابت الكلاً فما تكاد تستقر بهم النوى ويضربون خيامهم ويسيمون أنعامهم حتى تقتلهم النوى المختلفة كانوا يخرجون إلي المرعي، فيلتقون ويتبادلون الأحاديث ويؤلف الحب بينهم بينما الأحبة غارقون في نشوة اللقاء يدعو الداعي إلي الرحيل، فتعقل الإبل وتزم الأمتعة، ويظعن القوم مخلفين وراءهم قلبوا أحزنها الفراق^(٣)، الفراق جحيم لا يطيقه المحب، لأن القرب يحيه، سواء أكان يسعد باللقاء أو يأمل أن يسعد، بل القرب يندي حرارة قلبه وإن يأمل أن يلقي محبوبته، يكفيه أنه يحي بقربها، ويتنفس من الجو الذي تعطره بأنفاسها^(٤).

علي أن الفراق مستقن ببشاعة له أسمه في الإغراق في وصفه^(٥) هذا الترحال أوحى بغزل باكي متفجع^(٦) رحيل المحب أو المحبوبة من المناظر الهائلة والمواقف الصعبة التي تقتضح فيها عزيمة كل ما في العزائم، وتذهب قوة كل ذي بصيرة، وتسكب كل عين جمود، ويظهر مكنون الجوى، ولعمري لو أن طريفاً يموت في ساعة الوداع لكان معذورا... وإنما ساعة ترق القلوب القاسية وتلين الأفتدة الغلاظ وإن حركة الرأس وإدمان النظر والزفرة بعد الوداع لهاتكة القلب وموصلة إليه^(٧)

(١) الغزل منذ نشأته حتى صدور الدولة العباسية، ص ١١

(٢) المرجع السابق، ص ٥٤

(٣) الغزل في العصر الجاهلي، ص ٣١٢

(٤) مقدمة القصيدة في العصر الجاهلي، ص ٥٥

(٥) الغزل في العصر الجاهلي، ص ٣١٢

(٦) الزهرة، لابن بكر محمد بن داؤد الاصبهاني، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م، ٢٦٨/١، تحقيق إبراهيم السامري

(٧) الغزل في العصر الجاهلي، ص ٣١٣

فالعرب تتشام من الغراب كلما ذكروا مما يتطيرون منه شيئاً ذكروا الغراب معه^(١) فقد كرهوا الغراب وتشاءموا منه لأنهم أعتقدوا أنه ينذرهم بفرق الأحاب، وكيف لا وقد اشتقت من أسمه الغربية والاعتراب والغريب^(٢) يصور امرؤ القيس حزنه وبكائه حين الفراق بقوله^(٣)

كَأني غَدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا * * * لدى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفٌ حَنَظَلِ

عند ما تفارق الحبيبة المكان فلا تبقي إلا الذكرى فيدعوا لدارها بالسقيا ويقول النابغة يربيد وفتت بعد رحيلهم في حيرة وقفة جاني الحنظلة ينففها كل مرة يستخرج منها حبها^(٤):

سقي دار سعدي حين حلت بها النوى * * * فأنعم منها كل ربع وقد قد

كذلك يكره المكان الذي فارقت الحبيبة لأنه مرتبط بذكرى مرة، بعد أن تفارق الحبيبة المكان هو ينظر لدارها من بعيد لعله يري نارا في ربعها ليأنس برؤيتها كأنها حبل يصل بينهما، كما أنه يتحسس مهب النسيم لعله نسمة تمر بع حاملة شذي محبوبته، وكذلك يرتاح إلي ربح الصبا، وهم جميعا تهيج ذكراهم إذا ما هبت الصبا^(٥).

قال شهاب الدين النويري^(٦): إنها ربح تهب من المشرق إلي المغرب، سميت كذلك ربح الصبا لأن النفوس تصبوا إليها، لطيب نسيمها وروحها، والصبوة الميل والعرب تحب الصبا لرققتها، ولأنها تجئ بالسحاب، والمطر وفيها الخصب^(٧).

(١) طوق الحمامة في الألفة واللاق، تأليف الإمام الفقيه أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ص ٨٨، تحقيق حسن كامل الصيرافي، مطبعة القاهرة.

(٢) كتاب الحيوان، تأليف ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ/ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ٤٤٣/٣

(٣) الغزل في الشعر الجاهلي، ص ٣١٣

(٤) المرجع السابق، ص ٢٩٤

(٥) الغزل في العصر الجاهلي، ص ٣١٧

(٦) النويري: هو أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري، ولد بقوص ونشأ بها ٦٧٧هـ، اتصل بالسلطان الملك الناصر، توفي بالقاهرة سنة ٧٣٣هـ، من آثاره نهاية الإرب في فنون الأدب. (أنظر هدية العارفين،

ج ١، ص ١٠٨)

(٧) نهاية الأرب في فنون الأدب، تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، ٩٧/١، دار الكتاب للطباعة والنشر.

ويظهر أنها اقتترنت بذكر الحبيبة لأنها نسيم لطيف يهب علي الصحراء بعد توهجها فيلطف الجو، ويبعث في النفوس نشاطا وخفة، فتصفوا من إرهاب الحر وضيقه، وإذ تتنفس النفس وينطلق الخيال، والأحلام والذكريات والأمانى، وأن حملت الصبا مطر تمنى الشاعر أن وجود ديار المحبوبة، لأنه الخير العظيم، الذي يتمناه الحبيب لحبيته، لأن نزوله يبهج المحب فيود أن تشرك معه في بهجته حبيته^(١).

علي الرغم من أن بعضهم يتجلد عند الرحيل فلا يبكي ولا يحزن لما به، قال أوس بن حجر:

لا تحزُنِينِي بِالفِرَاقِ فإِنِّي * * لا تستَهَلِّ مِنَ الفِرَاقِ شُؤُونِي

ولم يطبق بعضهم الفراق ولا يحتمل الصبر عليه فيرحل وراء المحبوبة يصور ذلك النابغة:

فلا يا بعد لاي الحقني * * بأولي الظعن في عيلة اموت^(٢)

إن العاشق ، يحيا لحيه وحبيبه، لا يرى الحياة إلا بعينها، ولا يأنس إلا بقربها

(١) الغزل في الشعر الجاهلي، ص ٣١٨-٣١٩

(٢) الغزل في الشعر الجاهلي ، ص ٣٢١

الظعائن والهوارج:

ترتل المرأة الحبيبة في ركب صواحبتها، فيشهد المحب هذا الركب فيحترق قلبه، ويشد نظراته بهودج المحبوبة، ويعلق به ولا ينسي في هذا الموقف أن يصف الهوارج والنساء وصفا تفصيلياً، ولا ينسي أيضاً أن يذكرك الطريق أو الطرق التي سيقطعها الركب في دقة وإحاطة كأنه جغرافي يرسم طريق السير وهو في موقفه هذا يصور حزنه ووجيعته من هذا الرحيل كما سبق.

ذكر الشعراء طريق الظعائن في تفصيل: شبهوا الهودج بالسفن، وفي هذا تصوير آخر كما تهزهز الريح النخل، بالشجر وشبه النساء بظباء وصور جلستهن في الهودج وجمع امرؤ القيس الصور الثلاثة فشبه الهودج بالدوم، السفن والنخيل فشبّهتهم في الآل لَمَّا تَكَمَّشُوا * * حَادِّقِ دَوْمٍ أَوْ سَافِينًا مُقَيَّرًا فشبّهتَهُمْ في الآل لَمَّا تَكَمَّشُوا * * حَادِّقِ دَوْمٍ أَوْ سَافِينًا مُقَيَّرًا

والمرقش الأكبر يستهل من قصائده بالسؤال عن ظعن تطفو علي صفحة الرمال، كأنها شجرة الدوم، أو السفن العظام، سابحة بين بطن وادي الضباع، شمالاً لا سفح العاقورة يمينا، وتلوح هوارجها علي ظهور ابل فتية وهي هوارج مكللة بثياب اليمين المزركشة الجميلة التي تسلب الأفئدة والألباب إلي هوارج أخرى علي ظهور نوق ضامرة قوية مدرية وهن قاصدات إلي موضع يقال له " سمس " جاءت في السير لا يتلفتن ولا يستمعن لأصوات المحزونين شفت قلوبهم لِمَنِ الظُّعْنُ بالضُّحَى طافِيَاتٍ * * شِبْهُهَا الدَّوْمُ أَوْ خَلَايَا سَافِينِ جَاعِلَاتٍ بَطْنَ الضَّبَاعِ شِمَالاً * * وَبِرَاقِ النَّعَافِ اتِ الْيَمِينِ^(١)

يصور الشاعر لنا استعداد القوم للرحيل، وما يسبقه من رد الإبل من المراعي وذم الأمتعة، وما يشيع في أثناء ذلك من حركة وأصوات، تبدأ القافلة فيمضي يحدد الطريق الذي يسلكون ويسيرون فيه بين السهول والجبال والرمال، وينتقل إلي وصف الهوارج، وصفا دقيقا ويبين فيه أنواع الثياب التي تكللها وألوانها

(١) مقدمة القصيدة في الشعر الجاهلي، ص ١٣٧، ديوان امرؤ القيس، ص ٣٣١

المختلفة، بين سميك ورقيق، أحمر وغير أحمر وإن كان اللون الأحمر هو الغالب، بعد أن يفرغ من تصوير الهودج يصف النساء بزينتهن وحليهن وعطورهن وثيابهن ومفانتهن ووصف حليهن وكيف يفعلون وهذا وقت الزينة، أن المرأة إذا ما سافرت أخذت زينتها، لأنها تعلم أن نساء الحي سيرينها حتى يودعنها ولأنها تعلم أنها قد تلقي في الطريق نساء مرتحلات مثلها، فيوم سفرها يوم زينتها، لهذا كن يسبين بجمالهن وحليهن وحركاتها قلوب الرجال ذكر المرقش الأصغر^(١) حى الطعائن
تَحَلِّينَ يَأْفُوتاً وَشَذَعِراً وَصِيعَةً * * وَجَزَعاً ظَفَارِيّاً وَدُرّاً تَوَائِمَا^(٢)

كما أهتموا بزينة الهودج وأعطيتها فقد كان تصوير الشعراء تصويرا صادقا كما رأوا وأجمعوا علي أن غطاء الهودج أحمر، ويظهر أنه كان أحب الألوان عند العرب، ووصفوه بأنه منقوش طويلاً وعرضاً^(٣).
ومن ترف المرأة وغنى آهان أن تكثر أغطية الهودج وأستاره، وأن تكون مرقشة^(٤)

نجد أن بعض الشعراء استهلوا قصائدهم بوصف الظعن كقول الأعشي^(٥) في توديع ركب إلي هريرة:
وَدَّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرِّكْبَ مُرْتَجِلٌ * * وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرِّجْلُ
نظم العرب الشعر في كل ما أدركته حواسهم وخطر علي قلوبهم، مما يلائم بيئتهم^(٦).

وكانت المرأة العربية ذات مكانة رفيعة في البيئة العربية، لذا تقرب الشعراء إليها وخطبوا ودها، وعرفوا قدرها، وما من شك أن هذه المكانة التي للمرأة مضافة إلي العوامل الأخرى من بواعث حب الرجل لها^(١)

(١) المرقش الأصغر: هو ربيعة بين سفيان بن سعد بن مالك بن ظبية والمرقش الأكبر عم المرقش الأصغر عم طرفة بنت العبد وهو أشعر المرقشين وأطولهم عمرا.

(٢) الغزل في العصر الجاهلي/ ص ٣٢٨

(٣) المفضليات، ص ٢٤٥ - ديوان امرؤ القيس، ص ٢٧

(٤) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ص ٥٩، ديوان الأعشي، ص ١٤٤

(٥) الأعشي: وهو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحبيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن فيس، وهو من شعراء الجاهلية وفحولهم

(٦) الوسيط في الأدب العرب وتاريخه، للشيخ أحمد الأسكنري، والشيخ مصطفى عناني، ص ٤٦، دار المعارف

أعز الرجل المرأة وأحبها، وقدم القصيد بذكرها وجزع علي هجرها أو ظعنها، ووقف علي أطلالها يندب شجرة ويبكي حظه، ويتذكر ماضيه السعيد^(٢)

شعر الغزل ثروة عظيمة نابع عن تقدير العرب للمرأة وخضوعهم لسلطان الجمال والحب، ولم يكن من محض المصادفة أن بدئت المعلقات ومشهورات القصائد بالغزل والبكاء إطلال المحبوبة^(٣).

الغزل أكبر عون في فهم هذه الحياة الاجتماعية فهو يرسم المرأة في لباسها وفي أعضاء جسدها وفي حركتها وتقلها ومناهج عيشها، ويرسم ذوق العصر الذي كانت فيه، ويصور شكل قريب إلي الأدب وعواطف الشعراء^(٤).

الغزل يتسم بالصدق الفني والبراعة في التصوير، هو أصدق تصويرا واستعدادا وتأثيرا بالبيئة والعقلية والطبع^(٥).

الحياة العربية في العصر الجاهلي تطلبت القول في ألوان معينة من فنون الشعر، وأستجاب الشعراء الجاهليون لبيئتهم فصدقوا التعبير عنها، فلم يجمع بهم الخيال، أو يبعث بهم تقليد أمة من الأمم فيقولوا فيما لا يجدون مرآة في نفوسهم وفي بيئتهم، كذلك لم يقصروا في التعبير عن شيء واقع تحت حسهم أو أثر في نفوسهم، فجاءت أغراضهم الشعرية صدى لحياتهم.

كانوا يحلون المرأة من نفوسهم محلا سامياً، وشاءت لهم حياة الحل والترحال أن ينعموا باللقاء، ثم يشقوا بالفراق، فحفلت أشعارهم بوصف المرأة، ووصف الديار التي حلت منها وجعلوا ذلك مبدأ قصائدهم واستجابة لارق عواطفهم، وهي عاطفة الحب فقد كان شعرهم مرآة لبيئتهم وطبيعتهم^(٦)

(١) الرحلة في القصيدة للجاهلية، وهبة رومية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م، ص ١٨٥، مؤسسة الرسالة بيروت.

(٢) الحياة العربية من الشعر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي، ط٤، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م، ص ٢١٤، دار القلم بيروت - لبنان.

(٣) المرأة في الشعر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي، ط٢، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م، ص ٦٥٤، مطبعة المنني - القاهرة.

(٤) الغزل منذ نشأته حتى صدر الدولة العباسية، ص ١٤

(٥) الغزل في العصر الجاهلي، ص ١٧

(٦) التاريخ الأدبي للعصرين الجاهلي والإسلامي الأول، ص ٤٦

المبحث الثالث

التخلص في القصيدة الجاهلية

التخلص معناه في سنة علماء البيان، أن يسرد الناظم والناثر كرمهما في مقصد من المقاصد غير قاصر إليه بإنفراده، ولكنه سبب إليه ثم يخرج فيه إلي كلام هو المقصود، بينه وبين الأول علاقة ومناسبة، وهذا نحو أن يكون الشاعر مستطلعا لقصيدته بالغزل حتى إذا فرغ منه خرج إلي المدح علي مناسب الأول، بينهما أعظم القرب والملائمة بحيث يكون الكلام أخذ بعضه برقاب بعض كأنه أفرغ في قالب واحد^(١)

لما كانت القصيدة الجاهلية متعددة الأغراض في الغالب، بها فقد حرصوا حرصا شديدا علي الاهتمام بالشكل، والدقة في الخروج من جزء إلي جزء خروجا يشعر بالتحام الأجزاء وتماسكها، لا بوجود حواجز واضحة بينها، من هنا جاءت العناية بالتخلص من المقدمة إلي الغرض الرئيسي، واشترط الدقة فيه، يري النقاد أن يصل الشاعر كلامه صلة لطيفة بلا انفصال للمعني الثاني عما قبله، بل يكون متصلا به وممتزجا معه حتى يلتقي طرفا المدح بالنسيب وغيرها من الأغراض المتباينة، التقاء محكما دون اختلال في النسق في أجزاء النظم لأن النفوس والمسامح إذا كانت متدرجة من فن مباين له ولما جامع بينهما وملائم بين طرفيهما ووجدت نفورا من ذلك ثبت عنه^(٢).

ثم يتفاضل الناس في التخلص، فعلي قدر الاقتدار في النظم والنثر يكون حسن التخلص، والتخلص في النثر أسهل منه في النظم، لأن الناظم يراعي القافية والوزن، فيكون في ذلك صعوبة بخلاف الناثر، فإنه لا يراعي قافية ولا يحافظ علي وزن^(٣)

(١) كتاب الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم الحقائق والإعجاز، تأليف يحيى بن حمزة، العلوم البحتي ٣/٣٣٠/٣٣١، دار الكتب

العلمية - بيروت - لبنان

(٢) بناء القصيدة في النقد العربي في ضوء النقد الحديث.

(٣) الطراز، ص ٣٣١

غير أن ابن رشيق عرفه فقال: " أولي الشعر بأن يسمي تخلصا ما تخلص فيه الشاعر من معنى إلي معنى ثم عاد إلي الأول وأخذ من غيره، ثم رجع إلي ما كان فيه" ويستشهد بقول النابغة في الاعتذار:

فَكَفَفْتُ مِنِّي عَبْرَةَ فَرَدَدَتْهَا * * عَلِي النَّخْرِ مِنْهَا مُسْتَهْلٌ وَدَامِعُ

ثم وصف حالة عند ما سمع ذلك فقال:

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتِي ضَائِلَةٌ * * مِنَ الرَّفْشِ فِي أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعٌ

فوصف الحية والسليم الذي شبه به نفسه إذا انتهينا من مقدمات القصائد، نسير مع الشاعر خطوة أخرى لنراه كيف يغادر الموضوع الذي ابتداء به موضوع، ينتقل فجأة دون تمهيد، أو يمهد لذلك بأبيات وهل هنالك علاقة بين الديار والغزل وما بعدهما من ذكر الناقة والوصف أو الفخر؟ الشاعر المجيد هو الذي يحسن الانتقال، فيغادر موضوعه الأول إلي الذي يليه دون خلل أو انقطاع ويجعل معانيه تتناسب إلي الموضوع الآخر، انسيابا بحيث لا يشعر قارئه بالنقلة، بل يجد نفسه في موضوع وانسجام ويمدحون لزهير بعض انتقالاته إلي المديح في مثل قوله:

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَكِنَّ * * الْجَوَادَ عَلِي عِلَاتِهِ هَرِمٌ

لزهير أساليب في الانتقال، فإذا كان في سياق الحديث عن صد صاحبه وهجرها يحدث نفسه أن يقطع حبال وصلها مثل ما قطعت، وينهض راحلا علي ناقته القوية المتينة فيقول:

فَصَرَّمْ حَبْلَهَا إِذْ صَرَّمْتَهُ * * وَعَادِي أَنْ تُلَاقِيَهَا الْعَدَاءُ

بِأَرْزَةِ الْفَقَارَةِ لَمْ يَخْنُهَا * * قِطَافُ فِي الرِّكَابِ وَلَا خَلَاءُ^(١)

ومثل زهير في هذا لبيد في معلقته

فَأَقِطَّعَ أُبَانَةَ مَنْ تَعَرَّضَ وَصَلَهُ * * وَلَاشْرُ وَاصِلِ خُلَّةٍ صَرَامُهَا

كانت العرب في أكثرها شعرها تبتدي بذكر الديار والبكاء عليها والوجد بفراق ساكنيها ثم إذا أرادت الخروج إلي معني آخر: قال: فدع ذا وسل الهم عنك بكذا كما قال امرؤ القيس:

فَدَعْ ذَا وَسَلْ الْا هُمَّ عَنكَ بِجِسْرَةٍ * * وَلَاشْرُ وَاصِلِ خُلَّةٍ صَرَامُهَا

كانت العرب في أكثرها شعرها تبتدي بذكر الديار والبكاء عليها والوجد بفراق ساكنيها ثم إذا أرادت الخروج إلي معني آخر: قالت: فدع ذا وسل الهم عنك بكذا كما قال امرؤ القيس:

فَدَعْ ذَا وَسَلْ الْا هُمَّ عَنكَ بِجِسْرَةٍ * * نُمُولِ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّرَا

ربما تركوا المعني الأول وقالوا (عيسى) أو (هو جاء) فإذا أرادوا ذكر الممدوح... قالوا إلي فلان ثم أخذوا في مديحه^(٢) كما عني النقاد والأدباء بأمر الابتداءات، في الشعر والنثر علي سواء من ذلك براعة الاستهلال، فقد عنوا بالتخلص وبعضهم يسميه: الخروج، هو أن يكون النسب أو نحوه كما هو في مقدمة القصيدة ممتزجا بما بعده من مدح وغيره كانت العرب في جاهليتها تنتقل فجأة بعقلها (د ع ذا) وعد عن ذا، إلي فلان قصدت، وما شاكل ذلك بل كانوا ينتقلون أحيانا دون شيء^(٣) الشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص لغيرهما الخاتمة^(٤) أن تخلصت الجاهليين كانت علي تصنيفها محدودة في حدود معقولة، فقد

(١) العمدة لابن رشيق، ص ٢٠٨-٢٠٩

(٢) ديوان النابغة، ص ٥٣-٥٤

(٣) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص ٢٥٥

(٤) المرجع السابق، ص ٢٥٥

تخلص لبيد مثلاً من وصف الديار إلي ركوب الناقة، بل كان بعضهم لا يصطنع إلي التخلص ويكتفي بقول (د ع ذا).

ف نجد أن لكل مقدمة صورتها العامة التي تشركها فيها أخواتها وملاحها الخاصة التي تتميز بها عن سواها يتخلص الشاعر إلي الناقة، وتختلف وسائل التخلص اختلافاً لا يكاد يحكمه أمر، فيرحلها ضارباً في المفاوز متعسفاً الفلوات والقفار، يصفها وصفاً معنوياً أحياناً قليلة ووصفاً حسياً في أغلب الأحيان، ثم يمضي فيشبهها بالثور الوحشي، ويحكي لنا طرفاً من أخبار هذا الثور أو بحمار الوحش ويقص لنا جانباً أو أكثر من قصته، أو بالظلم فتقف علي طائفة من دقائق حياته وأسرارها وقد يشبهها بأكثر من حيوان في قصيدة واحدة، فإذا فرغ من قصته وخرج من حصن الصحراء العاري صار إلي غرض آخر هو المديح أو الهجاء أو الفخر أو غيرها وربما تخلص الشاعر من مقدمته وأنصرف إلي الطعائن ليرقبها بطرفه وقلبه^(١).

وقد يتخذ الانتقال شكل التساؤل وبخاصة في سياق رحيل الأحبة كقول عنتره:
هَلْ تُبْلَغُنِّي دَارَهَا شَدْنِيَّةُ * * * لُعْنَتُ بِمَحْرُومِ الشَّرَابِ مُصَرَّم

وهناك أساليب كثيرة في التخلص والانتقال وقد يستخدم الشاعر لذلك الاستفهام أو الإشارة أو بعض الحروف كالفاء والواو ورب، ويل، ومن. جميل الانتقال بالإشارة قول لبيد

تِلْكَ ابْنَةُ السَّعْدِيِّ تَشْتَكِي * * * لِتَخُونَ عَهْدِي وَالْمَخَانَةَ ذَامٌ

أو الإشارة والاستفهام معا كقوله:

أَفْتَلَاكَ أَمْ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ * * * خَذَلْتَ وَهَادِيَةَ الصِّوَارِ قِوَامُهَا

(١) النقد الأدبي الحديث، ص ٢١٤

قد يتخذ الجاهليون الانتقال المفاجئ بالقطع وذلك بأن يقول (د ع ذ أ)
وغيرهما مما ذكر سابقاً ذلك مثل قول الأعشي:

فَدَعَهَا وَسَلَّ هَمَّ عَنكَ بِجَسْرَةٍ * * تَزِيدُ فِي فَضْلِ الزَّمَامِ وَتَعْتَلِي^(١)

الانتقال من الغزل إلي غيره - أي التخلص - ليس الغزل منفك الصلة بما بعده في نفس الشاعر، وإن بدأ كذلك في الظاهر، لأن الشاعر كما قلت أما محب، إما متصنع للحب، ومتصنع للحب يحاكي المحب في فن القول، والعلاقة بين الغزل وما بعده علاقة نفسية، لأنهما معا من صور الحياة البدوية التي يحياها الشاعر من الغزل إلي وصف الناقة مركب الشاعر إلي حبيته النازحة ومركبته في التسلي عن حبه فهي وثيقة الصلة بالحب.

وهذا التعدد في موضوعات القصيدة كان من وحي الصحراء، لأن الشاعر إذا يمر علي ربع المحبوبة بعد رحيلها ليتملي بالنظر إليها يتذكر ما تقتضي من ايام أنسه ويتذكر ما كان بينه وبين محبوبته من وصل وهجر، فبكي ما فيه الجميل، وقد يشتكي من معه من الرفاق، فإذا ما شفي بكاءه وتعبيره عن نفسه بعض ما يجد أنصرف إلي راحلته، أي ناقته فتحدث عن مشاق الرحلة، ووصف بعض مناظر الصحراء، وتحدث عن ناقته وأبدع في وصفها، ولقد يستطرد إلي تصوير ما يشبه به المدح أو الفر أو الحماسة أو غيرها إذن فقد كانت هذه الموضوعات مترابطة في نفس الشاعر وسهل عليه التعبير عنها، مثلا حقه أنه لم يكن في أكثر الأحيان يعد شعره مكتوباً، وإنما كان يعده في نفسه تارة، ويرتجله تارة.

فإذا كانت القصيدة العربية قد جرت علي تعدد الموضوعات في الغالب الأعم فإن هذه الموضوعات المتعددة تلتقي عند نقطة واحدة، وهي أنها مشغلة الشاعر وأنها وحي البيئة التي يعيش فيها، إن بدت في القصيدة مناح متفرقة في القول وقد أخذ النقاد علي الشعراء الجاهليين أنهم ينتقلون من الغزل إلي غيره أن يربطوا بين

(١) الوساطة بين المتبني وخصومه، القاضي الجرجاني، ص ٤٨ تحقيق محمد أبو الفضل، علي محمد الجاروي، ط ٣، دار إحياء الكتب العربية.

الغرضين، ويتسللوا إلي الغزل إلي ما بعده في مهارة وحبك، آثروا أن يتطرق الشاعر من الغزل إلي غيره في لطف وحيلة، كما يفعل بعض الشعراء.

لكن الانتقال المفاجئ دليل علي أن الشاعر لم يستوح عقله ومنطقه وتفكيره، وإنما استوحى عاطفته وقلبه وشعوره، ولو أنه استوحى عقله ما عجز عن براعة الانتقال التي بدع فيها بعض الشعراء، الشاعر صادق في تعبيره، عن شعوره لأن المرأة تشغله، والناقة تشغله ولأن الفخر والمدح والهجاء يشغله أيضاً، فهو يتابع هذه الأغراض في قوله كما تتابع في شعوره ولذا لم يحاول أن يعقد صلة مصطنعة في انتقاله من غرض إلي غرض وليس أدل علي أن هذا التحايل والتطلف في النقلة من الغزل إلي المدح مثلها عمل عقلي لا فن من البارعين فيه هم الذين تفلسفوا في شعرهم.

كانت طريقة الشعراء أن ينتقلوا من الغزل إلي غيره بقولهم (د ع ذا) كما ذكرنا سابقاً وبعضهم ينتقل مباشرة^(١)

لقد يعرض الشاعر قوله وفيه ما يصح أن يسمي ربطاً ولكنه غير مقصود، لأنه خواطر تتشاق ومعان تتداعي، ذلك كقصيدة امرئ القيس ووقف فيها علي الربع ووصفهن وصور حزنه لما ارتحلت وهذه كلها مرتبطة في نفسه، ثم شرع يصف ناقته وأوصل وصفها لكن الناقة مرتبطة بوقفته علي ربع الحبيبة وبرحلته والألم لفراقها وهي وسيلة إلي الرحلة التي أمل أن تسليه ولقد يحدث الربط الوثيق والانتقال المتسلسل، ولكنه مصادفة تعمل فيه وخير ما يمثله^(٢).

نعود إلي القول : إن المحافظة علي طبيعة المدخل إلي القصيدة الطويلة، في الوقوف علي الأطلال، ثم في الانتقال الطبيعي إلي تذكر الحب والحبيبة، والتغزل بها وأوصفها إنما هو المدخل الذي يؤكد ذاتية الشاعر أولاً وهو أمر طبيعي ينسجم مع حركة الخلق الفني إذ تبدأ من الداخل من الوجدان إلي الخارج إلي العالم

(١) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص ٢٥٦

(٢) الغزل في الشعر الجاهلي، ص ٢٩٨-٢٩٩

أما أن يستنفذ الشاعر إلي أرض الحبيبة والتغزل بجمالها والشكوى من بعادها
حتي ينطلق في رحلته علي ناقته، وقد خلف وراءه الأطلال والأشواق فيتخلص إلي
وصف ناقته^(١).

وهذا قد يأخذ الناقد علي الشاعر القديم، هذا الانتقال من وصف الحبيبة إلي
وصف الناقة ولكن تسلسل الحركة يبدو منطقياً بالنسبة للشاعر الذي ابتداء بالوقوف
علي الأطلال ثم تحول إلي متابعة ارتحاله علي ناقته فوصفها ثم الأغراض
الأخرى^(٢).

(١) الغزل في الشعر الجاهلي، ص ٢٩٨-٢٩٩

(٢) موسوعة الشعر العربي، ص ٤٤

الفصل الثالث

الوصف

وفيه ثلاث مباحث :

المبحث الأول : الوصف في الجاهلية

المبحث الثاني : وصف الناقة

المبحث الثالث : وصف الفرس

المبحث الأول الوصف في الجاهلية

الوصف في معناه اللغوي:

هو التحلية والتجميل، يقال: وصف الشيء له وعليه وصفا وصفة حلاه وجمله، وللصديق أوصاف حسنة وصفات جميلة، توأصفوا الكرم إذا وصف بعضهم بعضا به، وقد أتصف جاره بالخلق الحميد إذا صار منعوتا متوصفا بين القوم به^(١). ومعناه عند الأدباء هو تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم، وتلوين الآثار الإنسانية بألوان كاشفة عن الجمال، وتحليل المشاعر الإنسانية تحليلا يصل بك إلى الأعماق، إلى غير هاتيك العناصر التي قد يحتاج وصفها إلى نوق فني وتتطلب الإحاطة بنواحيها، والسمو إلى آفاقها وجدانا شاعرا وإحساسا مرهفاً، وذوقاً سليماً ككل ما يملك علي الإنسان المرهف الحس إحساسه، يثير فيه شعوره ووجدانه^(٢).

الوصف من الفعل الثلاثي وصف يصف الشيء بمعنى نعته بما فيه.

اصطلاحاً: هو تصوير الأشياء وإبرازها في شكل فني جذاب^(٣)

الوصف معناه أيضاً: الكشف والإظهار، أبلغه ما قلب السمع بصرا والشعر إلا قلته راجع إليه فهو باب في عمومه واسع النطاق^(٤).

يقول ابن رشيق، " الشعر إلا أقله راجع إلي باب الوصف، ولا سبيل إلي حصره واستقصائه وهو مناسب للتشبيه، مستحل عليه، وليس به لأنه كثير ما يأتي في أضعافه^(٥)

أحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عيانا للسامع كما قال

النابغة الجعدي يصف ذئبا افترس جوزرا:

فَبَاتَ يَذْكِيهِ بِغَيْرِ حَيْدَةٍ * * أَخَوْ قَنْصٍ يُمْسِي وَيُصْبِحُ مَفُطْرًا

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة وصف، فصل الواو ٣٥٦/٩، دار صدر بيروت

(٢) الوصف في الشعر العربي، الوصف في الشعر الجاهلي، عبد العظيم علي قناوي، الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، ٤٢/١

(٣) المفيد الغالي، ص ٥٦، المرجع السابق

(٤) تاريخ الأدب العربي، الشعر الجاهلي، ج ١، ص ١٢٥

(٥) العمدة، ج ٢، ص ٢٩٤

إذا ما رأي مِنْهُ كُرَاعًا تَحَرَّكَتْ * * أَصَابَ مَكَانَ الْقَلْبِ مِنْهُ فَفَرَّقَا

فأنت تري كيف قام هذا الوصف بنفسه، ومثل الموصوف في قلب سامعه^(١).
قال قدامة لوصف إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات، ولما
كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع علي الأشياء المركبة من ضروب المعاني
كان أحسنهم وصفا من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصف بها
مركب فيها، وأولاها به حي يحكيه بشعره ويمثله للحسن بنعته^(٢)
قال بعض المتأخرين أبلغ الوصف ما قلب السمع بصرا وأصل الوصف
الكشف والإظهار، يقال قد وصف الثوب الجسم، إذا لم عليه ولم يستره.
إلا أن من الشعراء البلغاء من إذا وصف شيئا بالغ في وصفه، وطلب الغاية
القصوى التي يعدمها الشيء إن مدحا فمدحا وإن ذما فذما.

الناس يتفاضلون في الأوصاف، كما يتفاضلون في سائر الأصناف، فمنهم
من يجيد الأوصاف كلها إن غلبت عليه الإجادة في بعضها كأمير القيس قديما^(٣)
الوصف من الفنون البارزة التي بدع فيها الشعراء الجاهليون، فقد نظروا في
الطبيعة الصحراوية ودققوا النظر، فوصفوا كل ما وقعت عليه أعينهم ووصفوا الطبيعة
ممثلة في حيوانها ورياضها ونباتها وديارها وأطلالها، وتأملوا في أمطارها وسحبها
وبرقها ونورها وظلامها قد سموا من ذلك لوحات ناطقة بالفن الأصيل، وقد أعتوا
بكل صغيرة وكبيرة من مشاهد الصحراء ومنظر الحاضرة ومجالسها وأزيائها، ولم
يتركوا شيئا من ذلك إلا سجلوه في شعرهم^(٤).

الوصف باب واسع في الشعر الجاهلي سعة مناظر الحياة ومشاهد الوجود
نفسها ولقد صور الشاعر الجاهلي بيئته وحياته وألوان معيشته في شعره تصويرا رائعا
بديعا، مما لا يمكن احصاؤه وتعدد القول فيه فقد وصف الجبال والرمال والوديان
والسيول والبروق والرياح واختلافها كما وصف الإبل والغنم والخيل وما في بلاده من

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٩٤

(٢) قدامة بن جعفر، نقد الشعر تحقيق محمد عبد المنعم خلفي بيروت لبنان، ص ١٣٠

(٣) العمدة، ج ٢، ص ٢٩

(٤) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص ٣٦٥

حيوان ونبات وجماد ووصف مواضع لهوه وكره، ووصف معارك الحرب والأسلحة التي يستعملها فيها، ووصف كل ما يتصل به أو بيئته. (١)

يمتاز الشاعر بأن إحساسه بالأشياء أحق واستيعابه لها أو في، قدرته علي نقل إحساسه وتصوير محسّانه لا تدانيها قدره غير ذوي المواهب، فإذا عبر عن منظر رآه أو معنى أحسه جاء تعبيره صادقاً جميلاً حتى جمع إلي رهاقة الحس التمكن من التعبير، وحسن التعبير، في اللغة وربما رسم من الصور ما يقف أمامه أبداع المصورين دهشاً مبهوتاً (٢)

ولقد وصف الشعراء في باب الوصف وأكثروا منه فوصفوا ديارهم ومواردهم، وكانت المرأة نفس مظاهر الجمال عندهم فهموا بها ووصفوا محاسنها وتقدموا بذكرها في مفاتيح الكلام حتى عند الرثاء والفخر، وتحدثوا إليها بما يجيش في صدورهم وشبهوها بالطيبة المهانة والماء والشمس والنار وما كان الوصف يزيد في بيانهم علي انتزاع الحقائق من معادنها محلاة بألوانها الطبيعية فيما كانوا يستخرجونه من بيئة البادية ومظاهر هذه الحياة العربية من حرب وسلم وظعن وإقامة (٣).

يحتاج الوصف إلي شدة ملاحظة ودقة انتباه وقوة بصر، وهي الأمور التي توفرت للعربي الأول فساعده علي أن ينقل إلينا بشدة صور الأشياء كاملة ونعوتها صحيحة، وأوصافها واضحة ولم يقع بصره علي حيوان ولا شجر ولا صحراء مترامية، ولا وحش فاراً، أو حيواناً أليفاً ولا طير شارد، ولا ليلاً مظلماً، أو نهارة مشمساً من غير أن يأخذ ذلك كله في ذهنه الواعي، وإحساسه المدرك، وخياله المطلق ووجدانه المنفصل وتفكيره السليم وما كان الوصف يزيد من الحقيقة المجردة، و الواقع الملموس (٤)

الوصف في حقيقة الأمر - هو عمود الشعر وعماده، بل إن كل أغراض الشعر وصف، في المدح وحسن نيل الرجل وفضله، والنسيب وصف النساء والحنين إليهن والشوق إلي لقاءهن، والرثاء هو وصف محاسن الميت، تصوير آثاره، والهجاء

(١) الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ص ٢٤٤

(٢) التاريخ الأدبي بالعصرين الجاهلي والإسلامي، ص ١٧-١٨

(٣) الأدب العربي تاريخه في العصر الجاهلي، ص ١٠٣

(٤) بحوث في الأدب الجاهلي، ص ٦٣-٦٤

وصف سوءات المهجو، وتصوير نقائضه ومعابيه، وهكذا يستطيع أن تدخل جميع فنون الشعر تحت الوصف، فهو علي هذا الوضع كالدوحة الملتفة، الأغصان، الفارعة الأفنان، المترامية الظلال^(١)

الوصف هو إبراز الأشياء، بشكل فني، وهو وإن شاع في الجاهلية لم يؤلف باب مستقلاً^(٢) كما أنه لم يؤلف غرضاً مستقلاً بذاته بل هو مشترك بين سائر الأغراض علي نحو ما رأينا في الغزل مثلاً ولعل ابن رشيق لم يخطي عند ما عدد كل أنواع الشعر منها، لأن لا أدب بدون وصف، وقلما يأتي الوصف مجرداً خالصاً لنفسه من أجل الوصف فقط^(٣)

والوصف من أهم الأغراض التي عالجتها المعلقات، ولم تخل معلقة منها، بل أن المعلقة الواحدة تتمثل علي كثير من الأوصاف لموضوعات متعددة مما وقع تحت حس الشعراء من مشاهد الطبيعة وصور الحياة المختلفة، فقد وصفوا أرضهم وما فيها من الزرع والنبات والمياه، وما علي ظهرها من الوهاد، الهضاب والجبال، وما يدب عليها من صنوف الحيوان، كما وصفوا السماء وما يزينها من نجوم وكواكب، وما يحجبها من سحب وما يسقط منها من غيث، وما يلمع فيها من برق، كما وصفوا الليل والنهار ووصفوا أنفسهم في تعرف أحوالها، وفي رضاها وسخطها^(٤) والوصف من الموضوعات المهمة في الشعر وفي العادة يذكرون الوصف بعد غزلهم وتشبيههم إبلهم، ويأخذون في وصفها وصفا مسهباً علي نحو ما هو معروف عند طرفة^(٥)

وقد شمل الوصف وصف الأطلال المهجورة ووصف ارتحال الطعائن ووصف المرأة المحبوبة، إن وصف المرأة علي ما فيه من دقة وإغراق في ذكر أوصافها، يظل أبعد من مرارة وصف الأطلال، وأقرب إلي الوصف الفني الخالص الذي لا حياة فيه ولا طعم ولقد أشرنا مرارا فيما مضى إلي أن الشعر الجاهلي وصف

(١) الوصف في الشعر العربي، الوصف في الشعر الجاهلي، ص ٤٢-٤٣

(٢) الجاهلية في الأدب وفن وتاريخ، ص ٧٦

(٣) المفيد في الغالي في الأدب الجاهلي، ص ٥٦

(٤) معلقات العرب، ص ٣٠٥

(٥) تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، شوقي صيف، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، ص ٤-٥

طبيعة الجزيرة العربية بكل ما فيها من نبات وحيوان ولعل أكثر الحيوانات الموصوفة في الشعر الجاهلي وصف طبيعة الجزيرة العربية بكل ما فيها من نبات وحيوان ولعل أكثر الحيوانات الموصوفة في الشعر الجاهلي هي الناقة والخيل^(١).

كان موقف الإنسان من الحيوان من أقدم العصور غريباً، فهو يستأنسه مرة، يفتك به للتغزل مرة أخرى ويستعمله وسيلة لنقله تارة ويقدم بعضه أخرى، وكانت آثار تلك الغرابة تلوح جلية في آدابه وحكاياته وأساطيره^(٢)

تاريخ البشرية لا يخلو من النفوس الكريمة، التي عاشت متعلقة بالحيوان أشد التعلق، آداب الأمم نظماً ونثراً حافلة بصور الحيوانات التي أعانت الإنسان علي تذليل كثير مصاعب الحياة ومنعته القدرة الفائقة علي وصفها بالأوصاف التي خلدتها في آثار بقاياها^(٣)

والعرب كغيرهم من الأقسام الذين تعلقوا بحب هذه الحيوانات فقربوها وعززوها، ومنحوها رعايتهم، ولم تكن ظروفهم قادرة علي أن يعيشوا بمعزل عنها، مندرة النباتات، كانت الدافع الحقيقي الذي دفع القبائل إلي عدم الاعتماد في حياتهم علي ما تنتجه الأرض فقط، ودفعها إلي الاستقلال لكافة الموارد عن أية طريقة كانت فاضطروا إلي أن يجعلوا الحيوان عماد حياتهم متنقلين وراء ماشيتهم من مرعي، ويقومون أودها ويحفظون حياتها، ويقون بها أنفسهم من هلاك محقق^(٤)

وكان للحيوان أكبر الأثر في حياتهم وهو قرب إلي نفوسهم وعواطفهم، ولذلك فقد أعتنوا به عناية خاصة، وضعوا جسمه وقوته وصفاته وعاداته وحركته وطباعة، حتى عرف بعض الشعراء بالإجادة في وصف حيوان واحد، كطرفه بن العبد، وأوس بن حجر، وفي وصف الخليل، امرؤ القيس والنابغة، الجعدي، وفي وصف الحمير الوحشية والشماخ وفي وصف القسي، أما الأعشي فقد بدع في وصف الخمر ومجالسها^(٥)

(١) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ص ٦٤

(٢) وصف الطبيعة في الشعر الأموي، إسماعيل أحمد شحادة العالم مؤسسة الرسالة، دار عمار، ص ١١١

(٣) وصف الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص ٩٩

(٤) الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص ٩٩ نوري حموي القيس، ط ٢، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

(٥) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص ٣٦٥، د. يحيى الحيدري مؤسسة الديالة، ط ٤، بيروت/، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

تحدث الشعراء عن الحيوان كثيراً، وعنوا به عناية كاملة، ووصف حركاته ومثلوا هيئاته، أشاروا إلي عاداته إشارات كثيرة تظهر في أحاديثهم وقصائدهم، فتكلموا عن الناقة والفرس فوصفوا أشكالها وأعضاءها وطبائعها ورسوموا لنا من خلال أحاديثهم سلوكا وعاداتها وهي تقطع المفاوز وتخترق الصحارى^(١)

عاش العرب في جزيرة واسعة تختلف عليها الرمال والأنواء والرياح، وتشدد عليها الطبيعة، وتقسو، فكان ينتقل في سبيل العيش، ويضرب في الأرض وراء اللقمة، فيختار مسافات كبيرة يخترق صحارى شاسعة كأنه في ركب الحياة علي سفينة متفاوتة مقلوبة تهبط، فيلقي مصاعبها ومتاعبها إلي أن يرسو فيه القدر عن مرفأ أمين يحيط فيه رحاله ويلجأ إليه حيناً من الزمن.

وكان سبيله إلي هذا التنقل حيوان يقتسم معه هذا العيش الشديد يقطع عليه المسافة، فيرافقه ويعايشه ويقضي معه أكثر حياته فيالفه ويحبه ويرى فيه أعظم صديق وأنبل رفيق، يتحمل التعب والعناء والسير والسرى، لذلك أحب العرب الحيوان ورأى فيه نجدة وملاداً، فهو منبع ثروته ومحل إكباره، يذكره كما يذكر الغزليون المرأة^(٢)، علي أن وصف الشعراء لبعض هذه الحيوانات لم يكن مجرد أوصاف عبارة لأعضائها، وإنما كان يشوب ذلك حس وعاطفة يضيفان علي الوصف طابع الجمال والدقة، وكانت عاطفتهم عاطفة إنسانية سامية لأنها عاطفة مساواة في الحب والحنان والمشاعر، فإذا أراد الشاعر أن يتحدث عن راحلته شبيها بحمار وحشي يسوق أتنه، فالراحلة لم تعد مجرد حيوان، وإنما أصبحت بصفة من نفوس الشعراء وأن أوصافهم لها وحركتهم معها تحملنا علي الاعتقاد بمشاركة لهم في هذه الأوصاف فهي تشعر بالخوف كما يشعر وتحس بالعطش كما يحس وتقلت من سهام الصائد كما يلفت من سهام أعدائه وخصومه وتعجب بالنصر كما يعجب وتحن إلي صغارها كما يحن إلي أطفاله، يأبي الضيم ولا تقيم في مكان إذا لم ترضى الإقامة فيه كما يأبي الإقامة في مكان يسأم فيه الضيم.

(١) وصف الطبيعة في الشعر الأموي، ص ٢٩٣

(٢) الوصف يشترك في وضع هذه المجموعة لجنة من أدباء الأقطار العربية تصدرها دار المعارف، ص ٩-١٠

وكان يداخل الشاعر وهو يرسم هذه الصورة كثير من العواطف والمشاعر والأحاسيس وكان الشعراء يكلفون علي تصوير هذه المشاهد فيرسمون وقائعها وهم يحسون إحساسا عجيبا ويشعرون شعور عميقا بالرغبة في تصويرها وإثبات خصائصها^(١).

فقد عني الأدب الجاهلي بوصف الناقة والخيل عناية كبيرة، إننا نستطيع أن نقول أنه ليس من آداب العالم أدب وصف هذين الحيوانين وأهتم بدقائقها وخصائصها وعني بحركاتها ووصف أعضائها.

الأدب الجاهلي زاخر بوصف الحيوان علي اختلاف أصنافه وألوانه للقوائد العربية المخصصة بالحيوان تعد من أجمل الشعر وأظهره جده وطرافة وحياء^(٢) وطبيعي أن تكون العناية منبعثة من منافع هذه الحيوانات للعربي في صحرائه فهو يعد للحرب والغزو والصيد ويستعين ببعضها لتفريج هممه، وتخفيف أحزانه، ويستخدم البعض الآخر في التنقل والترحال وكانت الناقة والفرس أولي تلك الحيوانات اهتماما لأنها أوثق بحياته وأشدّها صلة بمستقبله^(٣) وسوف نتناول وصف الناقة والفرس في المباحث القادمة إن شاء الله.

(١) وصف الطبيعة في الشعر الأموي، ص ٢٩٤

(٢) الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص ٩٩-١٠٠، نوري حموي القيسي، ط ٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

(٣) المرجع السابق، ص ١٠٠

المبحث الثاني

وصف الناقة

الناقة هي الأم الرعوم للبدوي، ومواكبة آماله الضخام في مناحي الجزيرة^(١) الناقة هي أبرز الحيوانات التي عني بها الشاعر الجاهلي فهي مصدر الخير والرزق، تقطع الفيافي وتجتاب الفلوات دون كلل أو ملل^(٢).

أحب الجاهلي الناقة لأنها تغذية بلبنها، وتكسوه من دبرها، وتطعمه من لحمها فهي عنده غذاء وكساء، وهي حياته في هذه الصحراء^(٣) فالناقة صديقة البدوي التي لاتفارقه ليطعم من لحمها ويشرب من لبنها ويرحل عليها، ويتخذ من شعرها ووبرها خيمته وهي عنده هبة الله الكبرى، قال تعالى ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ لَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

الناقة هي مركب العربي إلي البقاع النائية، والمعبر الذي لا معبر غيره في قطع الفيافي والبيدراء الناقة هي صديقة العربي الطيعة في الحل والترحال، صبور علي الجذب والجفاف، يطلقها في البادية فتكفي بما تجده من عشب، ويندر الماء فتصبر علي حر الظماء أياما فلا غرابة في إن كانت موضوعا من موضوعات الشعر أكثر فيه الشعراء، وتنافسوا وأجادوا^(٤)

اهتم الشعراء الجاهليون بوصف الإبل، واستأثر بحبهم لأنها الحيوان مناسب للحياة في الصحراء، لتحملها وعورتها ومقاومتها ظروفها، ومن هناك كثر تردد ذكرها في الشعر حتى لا تكاد تخلو قصيدة من ذلك، ولم يمن حديثهم عنها مثقلا أو حملا، وإن طالت الأبيات وكثرت الأوصاف وتعدد التشبيهات والصور، فهي من وسائل النقل التي تتحمل ما يفرضه السفر عليها من الجهد والمشقة لتبلغ بهم أماكن لم يكونوا بالغياها إلا بشق الأنفس وأداة للتسلية التي يفرجون فيها عن أحزانهم^(٥).

(١) الأصول الفنية للشعر الجاهلي، ص ٢٧٢

(٢) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص ٣٦٦. يحيى الحبري، مؤسسة الرسالة، ط ٤، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، بيروت - لبنان

(٣) الوصف في الشعر الجاهلي، ص ١٠، مطبعة البابي الحلبي وأولاد، ط ١، ١٣٦٨ هـ، ١٩٤٩ م، عبد العظيم قناري

(٤) أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي، ص ٧٩، مكتبة النهضة، مطبعة الرسالة.

(٥) الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص ١٠١

فالأبل تصر آذانها إذا حدا في أثرها الحادي وتزداد نشاطا وتزيد في مشيتها^(١) فكانوا بها يسلون همهم، فتذهب عن نفوسهم بوادر الألم، والضيق وبسرعتها ومشيتها تثار نوازعها لوصفها، وهي جسر ينتقلون بواسطته في حديث ومشيتها تثار نوازعهم لوصفها، وهي جسر ينتقلون بواسطته في حديث النسب الحزين الذي يشتد فيه الألم، حتى يؤثر في النفس فيكاد يبلغ اليأس والجوع، وبما يقطع الصحراء المخيفة، فيذكر الأطباء، وهي مع كل ذلك لا تمل ولا تشكو ولا تضجر تحملهم إلي ممدوحهم وتنقلهم إلي ديار أحبتهم فلا عجب إذا أسى العربي الإبل المال أو النعم، ولا عجب أن تشغل الناقة المكان الأكبر عند شعراء الجاهلية فهي قرى ضيافتهم تسأثر بعناية العربي، وتستحوذ علي جزء كبير في شعرهم^(٢) أطال الجاهليون الوصف وعنوا بوصف الناقة وهي خيار مالهم يدفعوا منها المهر والديات^(٣) وقد وقف الشعراء يتأملون فيها، فوصفوا جسمها الضخم القوي، بالبناء والقصر، قصر الهاجري، والقلعة الضخمة، والصحراء الصلبة، ودققوا في أعضائها فلم يغادروا عرق ولا عصب، ونظروا في أحوالها وسرعتها ونشاطها وعواطفها وحنينها فصوروا إحساسها ومشاعرها وأحوالها بعاطفة إنسانية ومشاركة وجدانية لما يعاني منه هذا الحيوان^(٤) يصف الشعراء الناقة بعد بكاء الديار والغزل أو التوجع من الدهر، ولم يكن التحول إلي الناقة سهلا ولا هينا، ولكن الشعراء توسلوا إليه بالحزن والحب والفرار من الديار المهجورة واللحاق بالأحباب الراحلين، والضيق بالدهر والرغبة في رؤية الممدوح^(٥) يحدثنا النويهي عن صورة شائعة من صور التخلص إلي الناقة، فيقول يشتد بالشاعر حزنه وآلمه علي فراق أحبته فلا يري منحة منها إلا أن يعلو ظهر ناقتة فيسرع عليها، أما اللحاق بتلك القبيلة المهاجرة، أو الفرار من تلك الديار المهجورة التي هيجت عليه الذكرى الأليمة، وعلي كل الزعيمين يتيح له هذا

(١) الحيوان ، ص ٤-١٩٣

(٢) الشعر السابق، ص ١٠١-١٠٢

(٣) التاريخ الأدبي للعصرين الجاهلي والإسلامي، ص ٨٤. علي محمد حسن العمري مطبعة دار الجهاد، ١٣٨٢-١٩٦٢م

(٤) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص ٣٦٦

(٥) الرحلة في القصيدة الجاهلية، ص ٥٢-٥٣

التخلص إن ينتقل إلي ناقته في التخلص إلي ممدوحه الذي يريد مدحه أو أعدائه الذين يريد أن يهجوهم^(١).

قارئ الشعر الجاهلي يعرف صدق ما قاله النوبي فتنت الناقة الشاعر الجاهلي فتنة، وقف يتأملها ويردد بصره فيها وما أكثر ما أقرب منها يحدق فيها ويغلو ويسرف في التحديد ثم يصفها عضوا عضوا يصف هيئتها وطباعها وما بداخل صدرها من أحاسيس ومشاعر يتحدث عن علاقتها به وموقفه أطراف الليل وآناء النهار كأنما هو يتغزل بها وقد نجح الفن الجاهلي أقام معرضا ضخما للناقة وحرص فيه علي رسمها بعناية كبيرة تصورها في أوضاع متباينة شديدة التباين، وفي حالات متشابهة شديدة التشابه، ووفر لها في كل صورة حظا واسعا من الفن^(٢) إن إعجاب العرب بالإبل و تركيبها، كان يشكل عاملا نفسياً من عوامل الإعجاب بهذا المخلوق، فحاول أن يصور وقائعها وهيئتها وأعضائها، لأن يري فيها نواحي الجمال وعبقرية الكون التي يحيط بها وصف و لا عد، في القرآن الكريم دلالات علي ذلك ففيها الدف بما يعلمون من لباس، وما يأكلون من لحوم ، وفيها زينة بيوتهم، لأن الرعيان إذا روحوها بالعيش وسرحوها بالغداة زينت بأريحتها وتسريحها وتجاوب الرفاء فأنس أهلها وفرحت أربابها وأحلتهم في عيون الناظرين إليها وأكسبتهم الجاه عند الناس، وكأنه خلقت للنهوض بالأثقال، وسخرت منقادة لكل من اقتادها ولا تمنع صغيراً ولا تقاوى ضعيفا، تري كل شيء نابت في البراري والمفاوز فجاء ذكرها علي السماء والجبال والأرض فكانت مساوية لها في القدرة مجانسة لأشكالها في العظمة. قد حملهم هذا الاهتمام والإعجاب علي أكرم فحول الإبل والاحتفاظ بأنسبها فكان^(٣) أكرم فحلا للعرب يسمي عصفورا وتسمي أولاده عسافير النعمان^(٤). وكان عصفور وزاعر وشاعر وذو الكباين من فحوة الإبل المعروفة^(٥). علي أن الشعراء الجاهليون لم يقفوا منها موقفا واحداً في وصفهم لها، وهذا إذا أوقفنا عند ظاهر جسمها

(١) الشعر الجاهلي منهج في دراسة وتقويمه محمد النوبي

(٢) المرجع السابق، ص ١٢

(٣) الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص ١٠٤

(٤) الحيوان ج ٥، ص ٢٣٣، الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب الكناني)

(٥) المرجع السابق، ص ١٠٥

وأعضائها لم تتجاوز إلي قدرتها وسرعة سيرها وطاعتها ولين انقيادها، فالشاعر شبه كل عضو من أعضائها بشيء وقع علي حسه كالنسر ومشيد القصور والقسي والقنطرة والقرطاس الشامي والجلد المدبوغ وهذه كلها في متناول خياله أو في ملك نظره يمد يديه إليها حيث يريد وقد يبسطها بسطا ماديا حسيا فيصور أجزائها شبيهة بهذه الأشياء^(١).

فقد وصف الشعراء الناقة وصفا مسهباً، المفضليات والأصمعيات تذخر بأحاديثهم عنها ومقدار ما كانوا يرون فيها من جمال وكانوا يشبهونها بالقصور ويشبهون قوائمها بالأعمدة وقد يشبهونها بالسفن والقناطر ويشبهون قوامها بجذوع الطلع ويديها بالصخر الغليظ أو بيدي السباع وصوتها بصوت القصب وخفافها بالمطارق وقد يشبهونها بكثير من الحيوان مثل الظليم والثور وحمار الوحش وحينئذ يستطردون إلي وصف هذه الحيوانات ما يكون من عراق بينها وبين كلاب الصيد^(٢). يقول الجاحظ: "ومن عادة الشعراء إذا كان الشعر مرثية أو موعظة أو أن تكون الكلاب هي التي تقتل بقر الوحش، وإذا كان الشعر مديحاً، وقال كأن ناقتي بقرة من صفتها كذا، أن تكون الكلاب هي المقتولة، ليس علي أن ذلك حكاية عن قضية بعينها ولكن الثيران ربما رجحت الكلاب وربما قتلتها، أما في أكثر من ذلك فإنها تكون هي المصابة والكلاب هي السالمة والظافرة وصاحبها الغانم"^(٣)

أوصاف الناقة لدى الشعراء تكاد تكون متشابهة، فهي قوية متينة صلبة قبل السفر، وهي نحيلة مهزولة بعد أن قطعت الفياقي وجابت الفلوات وحر الهواجر وقر الشتاء يعتنون بوصف شكلها ولونها وصفاتها، يشبهونها بالبقرة الوحشية والثور والحمار والأتان كما يشبهونها بالبناء الشامخ والسيف والدلو والسحابة، وفي كل تشبيه من هذه التشبيهات يصورون حالا من أحوالها وصفة من صفاتها، كأنهم اتخذ ذكر الناقة وسيلة لوصف الحيوانات الأخرى وذكر قصصها عن طريق تشبيه الناقة أو الثور ثم يذهب ويسرد قصة ذلك الحيوان وما كان من أمره مع الصياد وكرابه

(١) الوصف ، ص ١٢

(٢) تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص ٢١٤-٢١٥

(٣) الحيوان، ج ٢، ص ٢٠

حتى إذا أنهى تلك القصة عاد إلي ناقته^(١) كذلك يقول لبيد في وصف راحلته، بل أنه ليبعد ذلك ويفصل تفصيلا يخرج التشبيه مخرج القصة الحقة، فليبد يفصل في وصف حال حمار الوحش تفصيلا يطلعك علي نوع ما يجري بعقليته من انفعالا الغيرة والحرص علي أتناه وما لا يقاربه فيه إلا الإنسان^(٢).

نجد بعض الشعراء وصفوا الناقة وصفا مباشرا ولكنهم لم يطيلوا في وصفها آثروا أن يتحدثوا عن صفاتها وأحوالها النفسية عن طريق تشبيها بالحيوانات الأخرى ، فأظهروا عواطفها من الحزن والحب والكره والجرأة والشدة والاحتمال في قصص الحيوان كالبقرة المفجوعة بولدها الذي تحبه والتمسوا قوتها ونشاطها وسرعة حركتها في حمار الوحش وأتانه وفي الثور، ولكل قصة طريقة فيها حيوية ونشاط وقوة.^(٣)

الشاعر لا يكتفي بشدة احتمالها لأنها لا تظهر كمالها فيسير إلي وصف سرعتها التي يستعرض بها الصورة الأولى فيذكر أنها تسابق الريح أو تتخطي النعامة التي يطاردها الظليم، وقد تداول الشعراء مميزات أخرى في طباعها منها الوقار والصبر أما شكلها فقد قارنوا بينها وبين الجمل، مستدلين بذلك علي الشدة والصلابة^(٤)، والشاعر إذا ذكر نوعا من هذه النياق فإنه عليه أن يلتزم باختيار الأوصاف الملائمة لذلك النوع من جهة، والمنسجمة مع الوضع النفسي للشاعر والهدف الذي يتوجه إليه في ارتحاله من جهة أخرى^(٥)

وأكثر الأوصاف التي دارت علي ألسن الشعراء كانت عبارات " مقذوفة " " عذافة " و " الوجناء " و " وعرمس " و " غلباء " و " عجنس " و " علنده " و " مذكرة " والزيادة الجمالية وشدنيه " وعرنسة " و " وعنتريس " ولا بد للشعراء من أن يوصفوا إلي رواحلم هذه الأوصاف وينعتوها بهذه النعوت لتتمكن من مقاومة ظروف الحياة القاسية تقدر علي أداء ما كان يطلب منها أن تؤديه في هذه المفاوز الرهيبة^(٦)

(١) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص ٣٦٦

(٢) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، نجيب محمد البهيني ١٣٨١/١٩٦١/ص ٩٦

(٣) الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، ص ٢٦٨

(٤) فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، ايليل الحادي، ص ٣٦، الطبعة الأولى ١٩٩٠ منشورات دار الشرق الجديد.

(٥) موسوعة الشعر العربي، ص ٤٥

(٦) الطبعة في الشعر الجاهلي/ ص ١٠٥-١٠٦

وقد شغل وصف الناقة جزءا ظاهرا من معلقة طرفه وذلك في قوله:

- وَإِنِّي لَأَمْضِي الْهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ ** بِعَوْجَاءِ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَعْتَدِي
أُمُونٍ كَأَلْوَابِ الْأَرَانِ نَصَاتُهَا ** عَلِي لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُدٍ
لَهَا فَخِذَانِ أَكْمَلُ النَّحْضُ فِيهِمَا ** كَأَنَّهُمَا بَابَا مُنِيفٍ مُمَرِّدٍ
وطني مَحَالٍ كَالْحَنِيِّ خُلُوفُهُ ** وَأَجْرِنُهُ لُزَّتْ بِدَائِي مُنْضَدٍ
كَقَنْطَرَةِ الرَّومِيِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا ** لَتُكْتَفَنَ حَتَّى تُشَادَ بِقَرْمَدٍ
وَاتْلَعُ نَهَاضٌ إِذَا صَعَدَتْ بِهِ ** كَسُكَّانٍ بَوْصِيٍّ بِدِجْلَةٍ مُصْعِدٍ
وَجُمُجْمَةٌ مِثْلُ الْعَلَاةِ كَأَنَّمَا ** وَعَيِ الْمُنْتَقِي مِنْهَا إِلَيَّ حَرْفِ مَبْرِدٍ
وَخَدُّ كَقَرطَاسِ الشَّامِيِّ وَمِشْفَرٍ ** كَسِبَتْ الْيَمَانِي قَدَّهُ لَمْ يُجَرِّدِ
وَعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَّتَيْنِ إِسْتَكْنَتَا ** بَكْهَفِي حِجَابِي صَخْرَةٍ قَلْتِ مَوْرِدِ

وفي هذا الوصف من الدقة والاستقصاء ما تري له كثير من الأمثلة عن أمهر الشعراء الوصافين، فقد أتى علي شرح أحوال الناقة في سيرها وحركاتها، وفصل أجزاء جسمها وشبهها بتلك التشبيهات التي تضيف إلي الوصف المقصود أوصافا أخرى لا تقل عنه جودة ولا استقصاء^(١) فالناقة ضامرة نحبية سريعة مرقال ذنبها ذيال كثير الدبر يشبهه في ذلك جناحي نسر قديم لها فخدان مكتنزان باللحم، وفقرات متداخلة تكون مع الأضلاع قسيا متراسة وهي في صلابتها كقنطرة الرومي بناها الضاع بالأجر المتين، أنها ضخمة الرأس طويلة العنق قوية ولها خد كقرطاس الشامي ابيض لا شعر فيه، ومشفر كالجلد المدبوغ لم يميل في تغطيته، وعيناها المرأتين استكانتا في كهف جبلي^(٢) ولعل أوفي نموذج لوصف الناقة هو الذي ألم به طرفه^(٣)

(١) معلقات العرب، ص ٣١٢، القصائد العشرة، ص ١٠٢، ١٠٣، ١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١١٤، ١١٥، ١١٦

(٢) الوصف، ص ١٢

(٣) فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، ص ٣٧

عنترة يستبعد الوصول إلي ديار حبيبته علي مثل الناقة التي وصفها بتلك الأوصاف.

هَلْ تُبَلِّغُنِي دَارَهَا شَدِيدِيَّةٌ * * * لُعِنْتَ بِمَحْرُومِ الشَّرَابِ مُصَرِّمٌ
حَطَّارَةٌ غِيبِ السُّرِيِّ زَيَّافَةٌ * * * تَطِسُ الْإِكَامَ بِوَحْدِ خُفٍّ مَيْثَمٌ (١)

فقد وصفها بأنها صابرة علي معاناة شدائد الأسفار، رافعة في سيرها ذنبها، مرحا سريعة كالظلم المشبه في سواده، بالراعي الحبشي، نشيطة لا تستقيم في عدوها مخافة خدش سنور جانبها الأيمن مترشحة عرقا أسود كالقطران وشديدة التبخر مثل فحل الإبل (٢).

وقول لبيد في معلقته في وصف قصصي مطول لناقته التي شبهها في شدة سيرها بسحابة حمراء، لا ماء فيها تدفعا ريح الجنوب، وبالأتان الحامل يسوقها فحلها الغيور عليها وببقرة وحشية ذهبت ترعي فأفترست السباع ولدها.

ووصف النابغة الذبياني ناقته وشبهها بالحمار في نشاطها المتواصل وبالثور الوحشي الفار وهؤلاء الشعراء يتشابهون في وصف نياقهم، فيرسمونها بالضخامة والقوة والسرعة سرعة الجري وشدة الطاعة ويستعملون في ذلك الصور الحسية المادية ويشبهون كل عضو بصورة عرضوها والقوها في حياتهم الاجتماعية، فهي تشاركهم الشقاء في العيش والظنك تقاسمهم الآلام والآمال فتحس برغباتهم وتطيع حاجاتهم وتسرع من غير وقوف وتسير من غير زجر وتجري من غير حذاء أو عناء (٣) لذا أحبها العربي وأشدت الألفة بينها وبينه فرفعها إلي مستواه فأتخذ منها مدينة مصاحبة كأنها إنسانة تقاسمه المشاعر وتشاطره الهموم فأضفي عليها من صفات العقلاء ووجدان الأصدقاء، فناجاها وتسمع إلي شكواها وعبر عنها، كأنه لسانها إذا نطقت، أو وجدانها إذا أفصحت (٤)

(١) معلقات العرب، ص ٣١٣ شرح القصائد العشرة ، ص ٢٨٠-٢٨١

(٢) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي ، ص ٩٤-٩٥

(٣) الوصف ، ص ١٤-١٥

(٤) الأصول الفنية للشعر الجاهلي، ص ٢٧٤

وهكذا صور الشعراء نياقهم ووضعوا لها التماثيل صغيرة وكبيرة كاملة وغير كاملة ووقفوا علي مقربة منها ثم مضوا يتأملون ويحدقون النظر فيها من إمام وخلف ومن كل جانب فقد وصفوا شوقها وحنينها وشكواها ونحو ذلك من مشاعرهما، ثم لم يكتفوا بتصويرها وحدها بل انعطفوا يصفون الأرض التي تطويها، والماء الذي تقصد آية، والوقت الذي ترحل فيه فأقاموا لنا بذلك معرضاً من الصحراء تعددت فيه اللوحات وتتباين فيه المشاهد^(١).

(١) الرحلة في القصيدة الجاهلية، ص ٩٢

المبحث الثالث

وصف الفرس

إن الصلة بين الإنسان والخيول قديمة جدا فحيث وجدت آثار أقدام الإنسان في سيره الطويل في دروب الحضارات اكتشفت إلي جانبها حوافر الخيل قديمة جداً، ومنذ أن أستطاع البشر ترويضها وإخضاعها لسيطرتهم حدث انقلاب كبير في نمط التفكير الإنساني بتغيرات أسلوب المعيشة^(١)

لذا شغف العربي بخيله فوجد فيها صديقا حميما، تتجده في الشدة والرخاء، وأعزها وأحدهب عليها، وباهي بها، لأنه كان يركبها للصيد وللرياضية، وفي الأسفار الدانية، فكان في طريقه إلي المعركة يركب الإبل ويقود الخيل ليريحها، فإذا قرب من عدوه نزل من الإبل وأمتطى الخيل لأنها أكثر عونا وأسرع حركة^(٢).

ولهذا تركت الخيل آثار بعيدة المدى في حياة العرب الاجتماعية والفكرية، حتى وإن بعض حروبهم تنتشب بسببها، وشعرهم ونثرهم كان النعوت عليها، واشتغل الملوك والرؤساء بها ولا غرو فقد أقسم القرآن الكريم بها^(٣) قال تعالى في سورة النحل {وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} .^(٤)

لم يعني الجاهليون بحيوان عنايتهم بالخيول، فهي حبيبة إلي نفوسهم عزيزة عليهم يكرمونها ويؤثرونها بالطعام والشراب، وهي زينة الفارس يمتطيها في نزهة وصيده، وتكون حصنه عند الغارة وسلاحه في الكر ونجاته عند الفرار ولذلك يخصصها بعناية فائقة، وليس أكثر من أن تقدي بالأنفس ويجاع لها العيال ولا تجاع كما يقول الشاعر:

مغداة مكرمة علينا * * يجاع لها العيال ولا تجاع

(١) وصف الطبيعة، ص ١٣٠

(٢) أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، أحمد محمد الخوفي، ص ٩٠

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة ص ١٣٠

(٤) سورة النحل ، الآية ٨

وكانوا يقربونها عند بيوتهم ولا يرسلونها ترعي مع أنعامهم حبا في المحافظة عليها كانوا يحفظونها من البرد ويضعون لها الأدوية والأغطية لتقيها قسوة البرد وشدة الحر يقول عنتره:

مُقَرَّبَةٌ الشِّتَاءِ وَلَا تَرَاهَا * * * وَرَاءَ الْحَايِيِّ يَتَّبَعُهَا الْمِهَارُ
لَهَا بِالصَّيْفِ أَصْبِرَةٌ وَجِلُّ * * * وَنَيْبٌ مِنْ كَرَائِمِهَا غِزَارُ^(١)

يسقونها الماء الدافئ في الشتاء وكانوا يصنعون لها النعال لتحفظ حوافرها من صلابة الأرض وشدة الصخور.

أحب العرب الخيل في العصر الجاهلي لما أدته لهم من نفع كثير^(٢)، لذلك كانت عنايتهم بها، واهتمامهم بتربيتها، عناية تفوق كل شيء وقد أشتهر الجاهليون بالمحافظة علي أنسابها، وعدم الخلط بين سلالاتها، فنراهم يخلدون ذكراها وصفاتها في قصائدهم ومقتطعاتهم وقد عكف فريق من العلماء، كالأصمعي وأبي عبيدة وغيرهما علي تدوينها تدوينا منظم، ووصفوا في رسائلهم التي لم يصل إلينا منها إلا اليسير^(٣) وقد حافظوا علي كرمها وأصالتها ونقاء عنصرها وأهتموا بنسلها وأنسابها ونجابتها، يفخر علقمة الفحل بنسب فرسه وأصالته بقوله:

وَقَدْ أَقْوَدُ أَمَامَ الْحَايِيِّ سَلْهَبَةً * * * يَهْدِي بِهَا نَسْبُ فِي الْحَايِيِّ مَعْلُومُ

ولشدة عنايتهم بأنسابها وصفاتها فقد ألفوا في ذلك كتباً مثل أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام، لابن الكلبي، و" الخيل للأصمعي " والخيل لابن عبيدة" وأسماء خيل العرب وفرسانها " لابن الإعرابي وغير ذلك^(٤).

وكان إطلاق الأسماء علي الخيل عادة مألوفة ومعروفة ليتمكنوا من تمييزها وليعرفوا الأصل منها من غيره، وقد ذكر ابن الكلبي طائفة من فحولها وجيادها والمفروض المنسوب منها في الجاهلية.

(١) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ٣٦٩

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة

(٣) الطبيعة في شعر الجاهلي، ص ١١٠

(٤) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ٣٧١

وما شهر باسم أو نسب من ذكورها وإناثها، ومما ذكره، زاد الراكب، وأعوج
وسيل النعامة" والهطال" و " العراوة" ، والوجيه، لا خف الجون، " داحس والغبراء"،
الورد ، جروة، الشمس (١)

وقد اختاروا لها أسماء حفظوها ونسبوها إلي فرسانها ونسبوا الفرسان إليها،
ففرس عامر بن الطفيل المزنوق، وفرس والده العطيل قرزل، وفرس عنتره جروة،
وفرسا قيس بن زهير العبسي " داحس والغبراء" (٢)

وحفلت قصص الفروسية العربية بذكر كثير من أسماء الخيل التي كانت
تمثل الأصحاب الحقيقيين لها، والتي كانت لا تقل بطولاتها عن بطولات فرسانها
فاستحقت بذلك الإعجاب، والتقدير، وقد ذكر صاحب أنساب الخيل أكثر من مائة
فرس من أفراس الجاهلية والإسلام مع نسبتها إلي أصحابها (٣)

بلغ من إعزازهم للخيل إن الرجل كان بيت طاويا ويشبع فرسه ويؤثره علي
نفسه وزوجته وولده (٤)

وبلغ من تعظيم الخيل أنهم كانوا لا يهنئون إلا بسلام يولد أو شاعر ينبغ أو
فرس تنتج (٥) وكانوا يضيفون لقب الفارس إلي فرسه، تعظيما وإكراما.

وكان من تقاليد العرب إلا يبيع فرسه مهما ضاقت به المسالك، لأن من
يبيعها مثلبة لا تدانيها مثلبة، وهذا ما يوحي بلثقة الأكيدة التي تغمر قلب العربي،
والاعتقاد الراسخ بحبه لهذا الحيوان الأصيل العريق ولا بد أن تعطي هذه الأهمية
لهذا الحيوان، المكان البارز في الأدب العربي، لأنه ملأ جوانب كثيرة من حياة
العربي، فلا غرابة إذا وجدنا فريقا من الشعراء قد تخصصوا في أوصافه (٦) فذكر
الأصمعي أن ثلاثة من العرب لا يقاربهم أحد في وصف الخيل، أبو داؤود فكان

(١) الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص ١١١

(٢) المرجع السابق، ص ٣٧١

(٣) المرجع السابق، ص ١١٦

(٤) أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص ٩١

(٥) العمدة المصدر، ٦٥/١

(٦) وصف الطبيعة، ص ١٣٣-١٣٤

علي خيل النعمان بن المنذر، والطفيل كان يركبها وهو أعزل إلي أن كبر والجعدي
سمع أوصافها من أشعار أهلها فأخذها عنهم^(١)

وطبيعة الحياة العربية وقسوة الظروف الطبيعية في بلاد العرب، جعلت
العربي يستحب من خيله الصلابة والقوة لتكون قادرة علي تلبية كل مطلب، فهذا
النابعة الجعدي يصف فرسه، فأضلاعه قوية شديدة كأنها ترس شديد الصقل،
مأخوذة من خشب الجوز الذي لا يتقرب.

يقول :

أَطْمَنَ بِتُرْسٍ شَدِيدِ الصِّفَاقِ * * * مِنْ خَشَبِ الْجَوَزِ لَمْ يُتَّقَبِ^(٢)

إذا كانت النياق وسيلة النقل - كما نقول اليوم - فالخيل كانت للركوب في
الزينة والصيد والحرب، تشارك الفرسان في الطعن والضرب واللهو والصيد، وقد اقبل
عليها شعراؤنا فوصفوها لجمالها وسرعتها، ولمشاركتها كما هي للحاجة، وقد جاء في
كتب الأدب أن العرب كانت ترتبط بالخيل في الجاهلية والإسلام معرفة بفضلها -
مما جعل الله تعالى فيها من العزة والفضل، فتكرمها وتؤثرها علي الأهلين والولد،
وتفخر بذلك في الشعر والنثر. فحب الخيل قديم قبل الإسلام وبعده وذلك لتعلق
العرب بهذا الحيوان وطول صحبتهم له وشدة أنسهم به.^(٣)

فكانوا بها يدافعون عما يملكونه ويحصنون ديارهم وينالون بها الغنائم ،
ويتخذونها معاقل تقيهم غارة خصومهم، فظل ذكرها يتردد علي شفاههم.

كان لهم فيها من التباهي والتفاخر والتنافس ما يدعو إلي التأمل، ففي
إكرامها إكرام للمرء نفسه لأنها وقاية للنفوس^(٤).

فقد دارت أوصافها في شعرهم، فلم يتركوا عضوا من أعضائها إلا وصفوه،
وقد ارتسم في صورهم التي صوروها مدى الاهتمام بالاعتزاز الذي كان يساورهم
تجاه هذا الحيوان والفرس عدة للفارس في الحروب، لغيرتها علي صاحبها وهذا ما

(١) الشعر والشعراء، ص ١٤١

(٢) المرجع السابق، ١٧٨

(٣) الوصف ، ص ١٥

(٤) الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص ١١١

جعلهم يقربونها من بيوتهم أكراما لها، وتعظيما لقدرتها واعتزازا بها، حتى سميت بالمقربات.

كان العرب يخدمون الخيل بأنفسهم يلبسونها غطاء الرأس لعزتها وأفتتح فريق من الشعراء قصائدهم بذكرها وكان السهر علي العناية بها مثار إعجاب الشعراء الذين كانوا يتخذون من ذلك موضعا للمدح^(١)

(١) المرجع السابق، ص ١١٢-١١٤

الفصل الرابع أغراض أخرى

وفيه ستة مباحث:

- المبحث الأول : الحماسة**
- المبحث الثاني : الفخر**
- المبحث الثالث : المدح**
- المبحث الرابع : الهجاء**
- المبحث الخامس : الرثاء**
- المبحث السادس : الحكمة**

المبحث الأول

الحماسة

الحماسة لغة: اسم مشتق من مزيد الثلاثي حَمَسَ حَمَساً (بمعني أغضبه) وهو تحمس يتحمس المرء إذا أشد في الأمر وتشجع^(١)

الحماسة هي: القوة والشدة والشجاعة^(٢)، والحماسة في الحرب والقتال والشجاعة والغني بصفات البطولة والرجولة وركوب المخاطر وخوف غمرات القتال، ووصف ما في الحرب من كر وفر وعدد سلاح ودماء وجرحي وقتلي، ودعوة للحرب وأخذ بالثأر وما إلي ذلك، فهو بجملته فن البطولة^(٣)

واصطلاحاً، تعني الحماسة البتاجح بمظاهر القوة والبطش، والتغني بالبطولة والإشادة بانتصارات القبيلة في المعارك وهي من أهم موضوع في الشعر الجاهلي، فرضته كثرة الأيام أو الحروب الدائرة رحاها بين القبائل من أجل الدفاع عن شرفها^(٤) الحماسة تدور حول الفخر بالقبيلة وحول المعارك والأخذ بالثأر والتبجح بمظاهر البطش والقوة، ومن أبطالها عمرو بن كلثوم وعنترة بن شداد^(٥)

كان لا بد لهذا القرب من الشعر أن يكون مع الغزل في طليعة الفنون انتشاراً لأنه يصور البطولة والمثل العليا للفروسية التي تقوم عليها حياة الصحراء، فليس غريباً أن يكون حظ المجاميع الشعرية من الحماسة هو الحظ الأوفر فكثير من شعر المفضليات والأصمعيات هو شعر حماسة، بل غلبت علي مختارات أبي تمام والبحثري فكانت الفن الأول الذي ابتداء به وغلب أسماها علي الكتابين فسمي أبو تمام مختاراته (ديوان الحماسة)

شعر الحماسة إلي كثرته من أصدق الأشعار وأقواها وأشد أثراً في النفوس، ذلك لأن الشعراء كانوا أنفسهم فرساناً يخوضون غمرات القتال فيبصرون عن واقع

(١) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ص ٧٩

(٢) لسان العرب لابن منظور، مادة حمس فصل الحاء المهملة ٥٧/٦ باب السين فعل الحاء

(٣) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص ٢٩٣

(٤) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ص ٧٩

(٥) الجاهلية فن وأدب وتاريخ، ص ٧٥

مشهود وتجارب نفسية صادقة وإن لم يكن بعضها يخلو من المبالغة ومجازة الواقع.

والمعركة هي الميدان الفسيح الذي يستمد الشاعر منه معانيه الحربية، فيعرض في شعره صورا من أهوال القتال وما يكون فيه من كر وفر وجرحي وقالي وصياح، وما يلتصق فيه من المفاخر^(١)

شعر الحماسة ذلك النوع الذي يتحدث عن الأيام المشهورة والمواقف المعروفة والبطولات النادرة والانتصارات المتوالية والبأس والقوى والدمار المنيع، والحمى، ومثل هذا الشعر كان الأنشودة الملهبة والترنيمات التي تملأ القلب بالإقدام، والنفس بالثورة، واليد بالبطش، والروح بالميل إلى الاندفاع في سبيل الموت صونا لعرض كريم أو نفس عزيزة أو جاه رفيع أو ملكية مصونة أو حق يوشك أن يضيع

والعربي في الجاهلية علي اعتبار أنه كان في الصحراء متعرضا للوحوش الكاسرة والطيور الجارحة، والأفاعي السامة، بعض العلماء يري أن الحماسة من قبيل واحد كل ما هناك أن الحماسة فن البسالة في الميدان^(٢)، كان طبيعيا جداً أن يتغني الشعراء ببطولات قومهم وإقبالهم من غير رهبة ولا خوف علي الموت منكلي بأعدائهم شر تنكيل ومفتخرين بشجاعتهم، ولذلك عد أبو تمام أشعار القدامى من باب الحماسة لأنها تجمع بقية الأغراض التي تدور حول مناقب القبيلة وأمجادها وما تعتر به من مثل كسرف النسب، وحماية الجار والمستجير، وإغاثة الملهوف وإكرام الضيف وإباء الظلم، والصبر علي الشدائد والأخذ بالثأر والاجتهاد علي الأعداء والابتلاء الحسن في الحروب، ومن شعراء الحماسة وأبطالها المشهورين عنتر بن شداد، وعمرو بن كلثوم وسائر الشعراء الفرسان، التي رفع فيها كثيرا من شأن قبيلة تغلب المعتادة علي الحروب وكيف لا، وأيامها كلها معارك طواحن، وجعلها فوق جميع القبائل التي لن تلقي إن سولت لها نفسها التغليبين المؤتلة، والغني بانتصاراتهم الساحقة علي أعدائهم ووصف شجاعتهم الخارقة^(٣)

(١) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص ٢٩٣-٢٩٤

(٢) بحوث في الدب الجاهلي، ص ٦٣

(٣) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ص ٧٩

مَتِي نَنْقُلْ إِلَي قَوْمِ رَحَانَا * * يَكُونُوا فِي اللَّقَاءِ لَهَا طَحِينَا
يَكُونُ ثِقَالَهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ * * وَلَهْوَتُهَا فُضَاعَةٌ أَجْمَعِينَا
نُطَاعِنُ مَا تَرَخِيَ النَّاسُ عَنَّا * * وَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ إِذَا غُشِينَا
بِسُمْرٍ مِّن قَنَا الْخَطَى لُدِنٍ * * ذَوَابِلَ أَوْ بِيضٍ يَخْتَالِينَا
وَرَثْنَا الْمَجْدَ قَدْ عَلِمْتُ مَعَدُّ * * نُطَاعِنُ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَا
وَنَحْنُ إِذَا عَمَادُ الْحَيِّ خَرَّتْ * * عَنِ الْأَحْفَاضِ نَمْنَعُ مَنْ يَلِينَا
كَأَنَّ سُيُوفَنَا فِينَا وَفِيهِمْ * * مَخَارِيقُ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا^(١)

لكن عنتره بن شداد في ذلك نظم أشعارا تغني فيها بشجاعته وبأسه وجراته وفروسيته مدفوعا وإنما بحب عبلة التي من أجلها كان يجابه المكاره ويتهافت علي الحرب.

والواضح مما تقدم أن شعر الحماسة هو حقا شعر التغني بالقوة والبطولة والشجاعة، ولذلك كان قائلوه من الرجال فقط إذ ليس من طبيعة النساء الاعتداء بالقوة الجسمية^(٢) غير أن للمرأة في هذه المعارك شعر، تحرض فيه المقاتلين، علي القتال وتحث علي طلب الثأر وتصبر بالعزيمة وتحذر من قبول ديات القتلى^(٣) ثم إن الحياة في ظروف البيئة الصحراوية الشحيحة مطرا أو نبتا كانت تستدعي قيام المناوشات والحروب بين القبائل والنصر يعود فيها دائما للأقوى عددا وفرسانا ومن هنا جاءت أشعار الحماسة جميعها بألفاظ ومعاني مغالية لا تخرج عن الإشادة بالمناقب والمفاخر ذاتها والتي جانب التغني بمثل الجاهلية الرفيعة، فقد حوى شعر الحماسة كثير من المعلومات التاريخية الدقيقة عن أيام العرب الحربية كما أشتمل علي وصف غزير للأسلمة نحولامية أوس بن حجر التي صور فيها سيفه ودرعه

(١) شرح المعلقات السبع للزوزوني، ص ١٢٤-١٢٦

(٢) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ص ٨١-٨٢

(٣) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص ٢٩٦

ورمحه وقوسه والخيل أبي داؤود الأيادي وزيد الخيل وما توحيه من خواطر فلسفية حول الموت والحياة^(١).

تعرضت المفضليات بصورة واضحة مفهوم الحماسة كما كان يتصور العربي الجاهلي مزاجا من البطولة والمروءة والرغبة في الانتقام والحرص علي الثأر، والإحساس بالعصبية القبلية التي تدفع إلي نصره أخوانهم ظالمين أو مظلومين^(٢) ولنبدأ بالصورة العامة للحرب كما صورها شعراء المفضليات ونقف عند الأبيات التي كلى ابن المكعير الضبي مفتخرا بانتصار قومه تميم في يوم الكلاب الثاني علي قبيلة مزجج وأحلافها من اليمين^(٣).

ومثل ذلك نراه في هذه الأبيات بن مني التغلبي^(٤) مفتخرا ببلاء قومه في يوم الكلاب الأول الذي دارت رحاه بين بكر وتغلب
وَكَائِنَ أَرْزَنَا الْمَوْتَ مِنْ ذِي تَحِيَّةٍ * * إِذَا مَا اِزْدِرَانَا أَوْ أَسَفًا لِمَآئِمَّ

وتردد مع صورة الحرب صور مختلفة من التهديد والوعيد شعراء القبائل علي خصومهم يذرونهم من خلالها بأيام رهيبة تتناقل أنباءها أرجاء الجزيرة ويقول الحارث بن ظالم^(٥)^(٦) مستودعا الملك النعمان بن المنذر^(٧)
حَسِبْتُ أَبَا قَابُوسَ أَنْكَ سَالِمٌ * * وَلِمَا تُصَبُّ ذَلَا وَإِنْفُكَ رَاغِمٌ^(٨)

(١) المرجع السابق، ص ٨٢

(٢) " أنصر أخاك ظالما أو مظلوما" الميداني مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٢٤٢

(٣) المفضلية رقم ٦، ص ٢٥١-٢٥٢ ويوم كلاب الثاني بين تميم واليمن، فقد تحالفت قبائل اليمن من مدجج وكندة واغارو علي تميم

(٤) المفضلية رقم ٤٢ ، الأبيات ٢٠-٢٨، ص ٢٠٨

(٥) الحارث بن ظالم بن غيظ المري أبو ليلى، أشهر فتاك العرب في الجاهلية، وفد علي النعمان بن المنذر ملك الخيرة، قتل في حوران بالشام سنة ٢٢ هـ . (أنظر الأعلام، للزركلي، ج ٢٠/ ص ١٥٥

(٦) المفضلية رقم ٨٨، ص ٣١١-٣١٢ (الأبيات ١-٣)

(٧) النعمان بن المنذر بن الحارث بن جبلة الغساني، أميرة بادية الشام قبل الإسلام، نشأ في كنف أبيه في بيت الإمارة والملك في الجولان، شهد غزوة الرمانيين بأبيه وأخذهم إياه بالحيلة، عاش أسيرا إلي ما بعد سنة ١٩٥٣، توفي نحو ٢٨ هـ. (أنظر الأعلام،

للزركلي ، ج ٨/٤٣

(٨) محارب مولاه يريد أنا محارب مولاه لأنه قتل ابن مالك، ويريد بقوله " تكلان نادم" الملك النعمان الذي قتل ابنه فهو تكلان نادم.

فالشاعر هنا لا يتورع عن تعديد الملك نفسه مفتخرا بمن قتله من قومه من قبل، وأنه قادر علي أن يكرر المأساة من جديد.

ويقول عوف بن عطيه مع وصف الخيل ينتشر وصف الأسلحة سواء منها أسلحة الهجوم: السيف، الرمح، القوس، والسهم أو أسلحة الدفاع علي نحو ما نري في أبيات الحصين^(١) بن الحمام المري^(٢)

نُطَارِدُهُمْ نَسْتَنْقِذُ الْجُرَدَ كَالْقَنَا * * وَيَسْتَنْقِذُونَ السَّمَهْرِيَّ الْمُقَوِّمًا
عَشِيَّةَ لَا تُعْنِي الرِّمَاحُ مَكَانَهَا * * وَلَا الذَّبَلُ إِلَّا الْمَشْرِفِيَّ الْمُصَمَّمًا

وتكرر معارض الأسلحة في قصائد أخري - وكأنما يحرصون علي أن يستعرضوا أسلحتهم في كل مناسبة يقدمون فيها صوراً من بطولتهم وفروسيتهم علي نحو ما نري عند ثعلبة^(٣) بن عمرو العبدي^(٤)

بِهِ أَشْهَدُ الْحَرْبَ الْعَوَانَ إِذَا بَدَتْ * * نَوَاجِدُهَا وَإِحْمَرَ مِنْهَا الطَّوَائِفُ^(٥)

وتنتشر هذه المعارض في المفضليات بصورة واسعة، تارة يعرض فيها الشاعر نماذج كاملة لأسلحته، وتارة يعرض فيها نماذج مختارة منها^(٦)

أَعَدَدْتُ لِلْأَعْدَاءِ مَوْضُوءَةً * * فَضَفَاضَةً كَالنَّهْيِ بِالْقَاعِ
بِرِّزٍّ أُمْرِيٍّ مُسْتَبْسِلٍ حَاذِرٍ * * لِلدَّهْرِ جَلْدٍ غَيْرِ مِجْزَاعٍ^(٧)

(١) الحصين بن الحمام بن ربيعة المري الذبيان، أبو زيد، شاعر فارسي جاهلي، كان سيد بني سهم بني مرة (من ذبيان) في شعره حكمة، وهو ممن نبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، مات قبيل ظهور الإسلام نحو ١٠ ق.هـ، له ديوان شعر. (أنظر الأعلام، للزركلي، ج٢، ص٢٦٢)

(٢) المفضلية رقم ١٢، ص٦٤، الأبيات ٩-١٦

(٣) ثعلبة بن عمرو العبدي، من سلمة بن عبد القيس شاعر جاهلي، يقال له ابن أم حزنة، أورد له المفضل قصيدة بائنية، وقصيدة علي روي الفاء، خمسة عشر بيتاً. (أنظر الأعلام، للزركلي، ٢/٩٩).

(٤) المفضليات ٧٤ ص ٢٨١ الأبيات ٥-١٢

(٥) الشوهاء: الفرس الحسنة الخلق لم توشم يداها: أي نقية لم تحتج إلي وشم

(٦) المفضلية ٧٥ ص ٢٨٣ الأبيات ٦-٩

(٧) الشوهاء: الفرس الحسنة الخلق لم توشم يداها: أي نقية لم تحتج إلي وشم

وفي بعض القصائد نري المعارض لا تضم إلا نوعا واحدا من الأسلحة علي نحو ما نري في قول عبد المسيح^(١) بن عسلة^(٢)

غَدَوْنَا إِلَيْهِمْ وَالسُّيُوفُ عَصِيْنَا * * بِأَيْمَانِنَا نَفْلِي بِهِنَّ الْجَمَاجِمَا^(٣)

وفي قول خراشة^(٤) بن عمرو العبسي الذي يكتفي في معرضه بالسيوف أيضا وَجَمَعَ بَنِي غَنِمٍ غَدَاةَ حُبَالَةٍ * * صَبَحْنَ مَعَ الْإِشْرَاقِ مَوْتًا مُعْجَلًا

بِكُلِّ سُرْجِيٍّ جَلَا الْقَيْنَ مَتَّه * * رَقِيقِ الْحَوَاشِي يَتْرُكُ الْجُرْحَ انْجَلَا^(٥)

ولعل شاعرا من شعراء المفضيات لم يفصل القول في وصف أسلحته مثلما فعل يزيد بن ضرار^(٦) في مفضليته الطويلة المشهورة^(٧) التي مطلعها صحا القلب عن سلمى ومل العوائل * * وما كاد لايأ حب سلمى يزايل

ومع أنه من المحتمل أن يكون الشاعر نظم هذه القصيدة بعد الإسلام لأنه يتحدث عن مقدمتها عن الشيب.

وتردد الصورة مرة أخرى عند الحارث نفسه^(٨) حيث نراه يفتخر بقتل خالد الذي اشار إليه في أبياته السابقة كما يفتخر بالسبايا اللاتي أصابهن، والاتي اشار إليهن في الأبيات نفسها:

(١) عبد المسي بن عسلة الشيباني، شاعر جاهلي، نسب إلي أمه عسلة بنت عامر بن شراكة، أختار صاحب المفضليات ماقطع شعره وأخياره قليلة، توفي نحو ٥٠٠ هـ. (أنظر الأعلام، للزركلي، ج٤، ت٥٣)

(٢) المفضلية رقم ٨٣، ص ٣٠٤ البيت الثاني

(٣) المفضلية رقم ١٢١، ص ٤٠٤، البيتان ١٢، ١٣

(٤) خراشة بن عمرو العبسي، شاعر جاهلي، من الفرسان، حضر يوم شغب جبله الذي قتل فيه لقيط بن زرارة، وقال في ذلك اليوم قصيدة من المفضليات ١٤ بيتا. (أنظر الأعلام للزركلي، ج٢، ص ٣٠٣)

(٥) حباله : موضع . السرجي: السيف نسبة إلي سريج

(٦) المزرد بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني، فارس، شاعرت جاهلي، أدرك الإسلام في كبره وأسلم، ويقال اسمه يزيد، غلب عليه لقب مزرد، وهو الأخ الأكبر للشماخ، كان هجاء في الجاهلية، له ديوان شعر صغير من رواية ابن السكيت. توفي نحو ١٠ هـ. (أنظر الأعلام للزركلي، ج٧، ص ٢١١)

(٧) المفضلية ١٧، ص ٩٣

(٨) المفضلية ٨٩ ص ٣١٣. الأبيات ١-٦

وإني يوم غمرة غير فخر * * تركت النهب والأسرى الرغابا^(١)

وأن المرقش الأكبر^(٢) ركز الأضواء علي صورة القتلي وحدها، وكأنها عنده هي الدلالة القوية علي الانتصار الذي سجله علي أعدائه:
وكائِنَ بِجُمُرَانَ مِنْ مُزَعَفٍ * * وَمِنْ رَجُلٍ وَجْهُهُ قَدْ عَفِرُ^(٣)

ومن تصوير الشعراء لنهاية القتال تظهر ظاهرة قد يبدو الحديث عنها غريبا في مجال الفخر وهي الفرار من ميادين القتال وهي ظاهرة كانت شريعة الحرب تعترف بها وكان بعض الفرسان لا يجدون غضاضة من اللجوء إليها، ولعلمهم كانوا يرون فيها سلاحا من أسلحتهم يضمن لهم النجاة ليعيدوا الكرة من جديد^(٤).

وتحتفظ المفضليات بقصيدة طريفة تسجل هذه الظاهرة وتدور كلها حولها، وترسم صورة لهذا الأسلوب في خطة الحرب الجاهلية التي كان يلجأ إليها المقاتلون أحيانا حيث تضيق المواقف من حولهم، ويجدون من الفرار أسلوبا للنجاة من الأسر وهي قصيدة الحارث^(٥) بن وعله الجرمي^(٦)

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَتَرَى أَثَائِجًا * * عَلِمْتُ بَأَنَّ الْيَوْمَ أَحْمَسُ فَاجِرُ^(٧)

يسجل الشاعر أسباب فراره ويحاول تبريرها، فقد اندفعت خيل العدو خلفه تطارده لتأخذه أسيرا، وتراءت له حياته في الأسر، ما ينتظره فيها من ذل وهوان من حراسة تفرض عليه حين تقف علي بابه سجانة قاسية^(٨).

(١) غمرة : جبل دارت فيه الموقعة، والرغابا: الكثيرة

(٢) المفضلية ٥٢، ص ٢٣٥ الأبيات ٤-٨

(٣) جمان: موضع، المزحف: القتل قتل غفلة عر: أي جر

(٤) د. يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ٢١١

(٥) الحارثة بن وعله عبد الله الحارث الجرمي، شاعر جاهلي من فرسان قضاة، شهد يوم الكلاب الثاني بين جبلة وشمام، وكاد فيس

بن عاصم النكري ولكنه نجا. (أنظر الأعلام للزركلي، ١٥٨/٢)

(٦) المفضلية ٣٢ ص ١٦٤، الأبيات كلها ١-١١ (وقد حقق الأستاذ عبد السلام هارون اعتمادا علي مصادره لوعلة الجرمي لا لابنه

الحارث فهو الذي شهد يوم الكلاب الثاني وهو الذي وفر منه إمام غيث بن عاصم المنقري.

(٧) جمان: موضع، المزحف: القتل قتل غفلة عر: أي جر

وإذا كان الشعراء قد تحدثوا عن فرارهم من القتال فمن الطبيعي أن يتحدثوا عن فرار أعدائهم ولكن الغريب أنهم في الوقت الذي يتخذون من فرارهم هم أنفسهم مجالاً للفخر، يتخذون من فرار أعدائهم مجالاً للهجاء والسخرية والتهكم، وتتردد هذه الصورة كثيراً في المفضليات علي نحو ما نرى في قول بشر^(٢) بن أبي خازم^(٣)

وَلَمْ نَهْلِكْ لِمُرَّةٍ إِذْ تَوَلَّوْا * * فَسَارُوا سَيْرَ هَارِبَةٍ فَغَارُوا^(٤)

فهو يصور فرار أعدائه من القتال وقد انطلقت بهم خيلهم في عدو سريع تثير الغبار بسنابكها التي تضرب الأرض بشدة

ونستطيع أن نرى مثلاً آخر في قصيدة عوف^(٥) بن عطية الربابي^(٦)

بِكُلِّ مَكَانٍ تَرَى مِنْهُمْ * * أَرَامِلَ شَتَّى وَرَجُلِي حِرَارًا^(٧)

علي هذه الصورة شغل موضوع الحرب قسماً كبيراً من قصائد المفضليات الجاهلية وكشف لنا عن طبيعة الصراع الذي كان دائراً بين القبائل في هذا العصر كل شاعر يذكر الدمن والأطلال والرسوم وهي باقي الماضي والعلاقات الأولى في الطريق لا بدء إلا من الماضي^(٨)

(١) لعل هذا بلغت النظر إلي أن الذين كانوا يقومون علي حراسة الأسرى في سجونهم من النساء ولعل هذا يجعلنا نظن أن " الشبيخة العيشمية التي تحدث عنها عبد يغوث في قصيدته التي تحدثنا عنها منذ قليل كانت قائمة علي إثره، وربما يدفعنا إلي القول بأن هؤلاء السجانات كن من المتقدمات في السن

(٢) بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأسيدي، شاعر جاهلي، من أهل نجد، من بني أسد بن خزيمه، توفي قتيلاً في غزوة أحد، أغار بها علي بني صعصعة بن معاوية سنة ٢٢ق.هـ، له ديوان شعر مطبوع، تحقيق د. عزة حسن في دمشق. (انظر الأعلان، للزركلي، ٥٤/٢)

(٣) نمير وكلاب وسليم وأشجع هي القبائل المعادية لقومه

(٤) المفضلية ١٢٤ ص ٤١٢ الأبيات ٣٦-٤٢

(٥) عوف بن عطية الربابي بن عمرو الملقب بالخرع بن عيس بن وديعة التيمي، شاعر جاهلي، أدرك الإسلام، وعده ابن سلام في الطبقة الثامنة من الإسلاميين، ونعته الزبيدي بالفارسي. (انظر الأعلام، للزركلي، ٩٦/٥)

(٦) المفضلية ٩٨ ص ٣٣٨ الأبيات ٣٦-٤٠

(٧) لعل هذا بلغت النظر إلي أن الذين كانوا يقومون علي حراسة الأسرى في سجونهم من النساء ولعل هذا يجعلنا نظن أن " الشبيخة العيشمية التي تحدث عنها عبد يغوث في قصيدته التي تحدثنا عنها منذ قليل كانت قائمة علي إثره، وربما يدفعنا إلي القول بأن هؤلاء السجانات كن من المتقدمات في السن

(٨) قراءة ثانية لشعرنا القديم، د. مصطفى ناصف، ٥٥٤

الحماسة لغة: القوة والشدة والشجاعة^(١) وقوم حمس متشددون في الدين، والحماسة فن الحلاب والقتال والشجاعة وركوب المخاطر وخوض غمرات القتال، ووصف ما في الحرب من كر وفر وعدد وسلاح ودماء وجرحي وقتلي، ودعوة للحرب، وأخذ بالثأر، فكثير من شعر المفضليات والاصمعيات والوحشيات هو شعر حماسة بل غلبت علي مختارات أبي تمام والبحتري^(٢) فكانت الفن الأول الذي ابتداء به وغلب اسمها علي الكتابين^(٣)، فسمي أبو تمام (ت ٢٣١هـ) مختاراته (ديوان الحماسة) وكذلك فعل البحتري (٢٨٤هـ)^(٤)

وشعر الحماسة إلي كثرته - من أصدق الأشعار وأقواها وأشدّها اثرا في النفوس، ذلك لأن الشعراء كانوا أنفسهم فرسانا يخوضون غمرات القتال فيعبرون عن واقع مشهود وتجارب نفسية صادقة وأن لم يكن بعضها يخلو من المبالغة ومجازة الواقع.

وكل بلاد أقمت بها وطاب لك العيش فيها هي لمسقط رأسك ومحل ولادتك:

تَلْقِي بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَّتْ بِهَا * * أَهْلًا بِأَهْلٍ وَجِيرَانًا بِجِيرَانٍ

يكشف لك هذا البيت أن نفسه تطيب بالسفر وتسلو عن الأهل والبلد إذا لم تجد عدالة تعيش في ظلها ولم تجد الإقامة في دار يسودها الظلم؟

(١) الاحمس : الشجاع ، الشديد الصلب في الدين والقتال.

(٢) البحتري: هو ابو عبادة الوليد بن عبيد بن شملان: شاعر كبير ، يقال لشعره سلاسل الذهب، ولد بمنبج بطلب سنة ٢٠٦هـ ورحل إلي العراق فأتصل بجماعة من الخلفاء، أولهم المتوكل العباسي، ثم عاد إلي الشام وتوفي بمنبج سنة ٢٨٤هـ ، من آثاره ديوان شعر ، وكتاب الحماسة (أنظر ترجمته في وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان، المتوفي ٦٨١ هـ ، تحقيق د. يوسف علي طويل، ط١، بيروت دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، ١٦/٥، والأعلام للزركلي، ١٢١/٨).

(٣) كان أبو تمام قد جمع في حماسته كل معاني البطولة والفروسية من وصف الحرب وما ينجم عنها وما يتفرع عنها من صفات خفية كالنخوة والصبر علي المصيبة والتجلد في المحن. أما البحتري فقد فصل في ذكر جزئيات من الحماسة، فأبيات فيما قيل في الفتنك وأخرى في مكاشفة الأداء وترك التستر منهم وثالثة في حمل النفس علي المكروه أو فيما قيل في التحريض علي القتل بالثأر وهكذا فقد جزأ في أفكار الحماسة وموضوعاتها. ولذلك جاءت حماسته في أربعة وسبعين ومائة باب ، بينما جعل أبو تمام حماسته في عشرة أبواب.

(٤) وتابعهما ابن الشجري (٥٤٢هـ فسمي كتابه حماسة ابن الشجري) (طبع في الهند ١٣٤٥هـ) وطبع في دمشق ١٩٧٠م باسم: الحماسة الشجرية) وصدر الدين بن أبي الفرج البصري (٦٥٩هـ) سمي كتابه: الحماسة البصرية (طبع في الهند). وذكرت المصادر بعض الكتب التي سميت بالحماسة مما يصلنا أو وصل ولم يطبع بعد، فمن ذلك: الحماسة لابن المرزبان

المبحث الثاني

الفخر

الفخر لغة التباهي والافتخار من فخر يفخر^(١)

ومعناه اصطلاحاً الاعتداد بالمناقب والمكارم المجسمة في الفرد أو في القبيلة، وهو أشد اتصالاً بالمدح، وبالحماسة لدوران الأغراض الثلاثة حول الخصال والشمائل التي كان البدوي يعتد بها في الجاهلية^(٢)

وهي التغني بالفضائل والمثل العليا، والتباهي بالسجايا النفسية والصفات القومية، والزهد لفعال الطيبة وخصاله وفعاله، من الشجاعة والكرم والمروءة وحماية الجار وطيب المنبت وعراقة الأصل وكثرة المال والولد إلي غير ذلك مما يزهو به الإنسان ويختال به علي غيره^(٣) والافتخار هو المدح نفسه إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار ومن أبيات الافتخار قول امرؤ القيس:

ما ينكر الناس منا حين تملكهم * * كانوا عبيداً وكننا نحن ارباباً^(٤)

والفخر قد أملتة عليهم البيئة - فقد كان لا بد لهم من التمدح بمآثرهم ومآثر قبائلهم حتى يعيشوا هذه الحياة التي تمتد علي العصبية وعلي الصفات الكريمة^(٥).
الفخر من توابع العصبية والحياة القبلية وكان الشعر يفتخر بقومه أولاً وبنفسه ذلك أن يكون المفتخر بقومه قد اصبح سيذا في قومه، وفي سن باكرة علي الأخص، وكان البدوي يفتخر بالنجدة والإسراع إلي معونة الأقربين من ذات يده أو ذات نفسه أو بسيفه وكان ايضا يفتخر بشرب الخمر واسقائها كانت في الجاهلية نادرة غالية الثمن^(٦)

(١) لسان العرب لابن منظور، فصل الفاء مادة فخر ج ٥، ص ٤٨

(٢) المرجع السابق، ص ٧٦

(٣) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص ٣٥٠

(٤) العمدة، ج ٢، ١٤٣-١٤٤

(٥) التاريخ الأدبي للعصرين الجاهلي والإسلامي الأول، ص ٥١

(٦) تاريخ الأدب العربي، ص ٨٣/١

فقد كان العربي يفتخر بنفسه وقومه فلا يدعوه الإسراف ولا يجزه الغلو إلي وصف نفسه بما ليس فيها إنما يذكر الإسراع إلي الصريخ والصبر عند اللقاء ويذكر الخيل والسلاح، والغناء في الحرب^(١)

كانت لهم أسواق للقول - ومجالس يذكرون فيها أحسابهم، وأنسابهم ويمتدحون بكريم خالهم وجميل خصالهم، ورفيع شيمهم وإلي جانب ذلك كانت لهم حروب وبنالون فيها خصومهم، يبلغون غايتهم من أعدائهم وربما كانت بعض الرسائل لذلك أن يفخر الرجل بنفسه أو بقومه أو يهم بالثناء علي سيد قبيلته ورئيس رهطه وحينئذ يكون هذا اللون من شعر الفخر صادق التصوير ، صحيح التعبير^(٢)

وقد كانوا يهنتون بالشاعر ينبع وبالفارس يشتهر أمره، قل إن تجد شاعر خلا شعره من الفخر، الصفات التي مدحوا بها سادتهم، هي التي فخرها بها علي غيرهم ويكثر الفخر في شعر الأبطال منهم، ولا سيما إذا كانت شجاعتهم هي كل ما يعتزون به، كما هو الشأن مع عنتره، فقد كان ابن أمه سوداء كان محقراً عند قومه، فلما ظهرت شجاعته جعل يفتخر بها ليتعافي بذلك عما لحقه من هوان، كما يكثر في شعره^(٣) الفخر في الشعر الجاهلي نوعان، شخصي وقبلي ومن خير الأمثلة له، معلقة عمرو بن كلثوم ومعلقة الحارث بن حلزة، هما في الفخر القبلي ومعلقة طرفة ومعلقة عنتره وهما في الفخر الشخص والنوعان في معلقة لبيد^(٤) والمشهورون من شعراء الفخر هم:

امرؤ القيس، عنتره، طرفة، الحارث بن حلزة، عمرو بن كلثوم

فمن الفخر الفردي قول امرؤ القيس مفتخراً بنفسه زاعماً أن لا أحد يشبهه في الوفاء بالعهد، والصبر علي الشدائد والشجاعة^(٥)

فَدَعَ ذَا وَسَلٍ لَا هُمْ عَنكَ بِجِسْرَةٍ * * * ذُمُولٍ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّارَا

عَلَيْهَا فَتَيَّ لَمْ تَحْمِلِ الْأَرْضُ مِثْلَهُ * * * أَبْرَ بِمِثَاقٍ وَأَوْفَى وَأَصْبَرَا

(١) الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، ص ١٠٠

(٢) بحوث في الأدب الجاهلي، ص ٥٣

(٣) التاريخ الأدبي للعصرين الجاهلي والإسلامي الأول ص ٥١-٥١

(٤) تاريخ الأدب الجاهلي، ص ٣٦٤

(٥) المفيد الغالي للأدب الجاهلي، ص ٧٦

هُوَ الْمُنْزِلُ الْآلَافِ مِنْ جَوْ نَاعِطٍ * * * بَنِي أَسَدٍ حَزَنًا مِنَ الْأَرْضِ أَوْعَرَا

وَلَوْ شَاءَ كَانَ الْغَزْوُ مِنْ أَرْضِ حِمِيرٍ * * * وَلَكِنَّهُ عَمَدًا إِلَى الرُّومِ أَنْفَرَا

والفخر إنما يحسن إذا كان الشاعر يمتدح بالفضائل النفسية والخصال الخلقية بعيدا عن التباهي بالأمور المادية والقوة الجسدية والتأخر بالأنساب والأصول والقبائل وإذا كان هذا الضرب من الفخر ما كان تغنياً بالفضائل وتمدحا بالمثل العليا دون مبالغة مفرطة ولا مجاوزة للمألوف، ولذلك ستجد في قول حاتم الطائي^(١) لأنه تعبير عن واقع مألوف وحقيقة صادقة^(٢)

أَمَا وَالَّذِي لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ غَيْرُهُ * * * وَيُحْيِي الْعِظَامَ الْبَيْضَ وَهِيَ رَمِيمٌ

لَقَدْ كُنْتُ أَطْوِي الْبَطْنَ وَالزَّادُ يُسْتَهِي * * * مَخَافَةَ يَوْمًا أَنْ يُقَالَ لَأَنِيمٌ^(٣)

أشهر قصيدة عرفت في الفخر هي قصيدة عمرو بن كلثوم التي بلغت أربعة أبيات ومائة وكلها فخر وحماسة، وقد كانت تغلب قبيلة الشاعر تعظم هذه القصيدة وتحتفل لإنشادها حتى هجاهم لذلك أحد الشعراء فقال:

الهي بني تغلب عن كل مكرمة * * * قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يروونها أبدا منذ كان أولهم * * * يا لرجال لشعر غير مسئوم^(٤)

والقصيدة احدى المعلمات السبع التي يبدأها بذكر الخمر متجاوزا الوقوف

علي الديار:

أَلَا هُبِّي بِصَاحِنِكَ فَأَصْبَحِينَا * * * وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا^(٥)

(١) حاتم الطائي هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشر الطائي القحطاني، أبو عدي، فارس، شاعر، جواد،/ جاهلي، من أهل نجد، مات في عوارض (جبل في بلاد طيء)، توفي سنة ٤٦ق.هـ. (أنظر الأعلام، للزركلي، ج٢، ص ١٥١)

(٢) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص ٣٠١

(٣) ديوان حاتم الطائي ص ٨٩

(٤) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص ٣٠٢

(٥) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص ٣٠٢

يظهر واضحا من شعر الفخر أن العربي في الجاهلية كان يحب أن يظهر نفسه بمظهر التفوق

ويتضح من فخرهم أن الميل إلي الإعجاب الشديد بالنفس كان متسلطا علي العرب في الجاهلية لدرجة عظيمة، حتى أن الشاعر في بعض الأحيان كان يفخر بتفوق فرعه علي بقية فروع قبيلته الأخرين، فيري أنه نال من الأمجاد والبطولة والفوز ما يستطيع الآخرون أن يصلوا إليه وأظهر مثل ذلك قول عمرو بن كلثوم:

وَكُنَّا الْإِيْمَنِيْنَ إِذَا التَّقِيَّآ * * وَكَانَ الْإِيْسَرِيْنَ بَنُو أَبِيْنَا
فصَالُوا صَوْلَةَ فَيْمَنَ يَلِيْهِمْ * * وَصُنَا صَوْلَةً فَيْمَنَ يَلِيْنَا
فَأَبُو بَالنَّهَابِ وَبَالسَّبَايَا * * وَأَبْنَا بِبَالْمُلُوكِ مُصَفَّدِيْنَا^(١)

فقومه هم الايمنون، في حين أن بقية عشيرته من غير فرعه كانوا أهل الشمال وبينما رجع هؤلاء من الحرب بالنهاب والسبايا، عاد قومه وقد أسروا ملوك الأعداء ورؤسائهم، وقد صفدوهم بالقيود والأغلال.

وفي الفخر نري أن ما قيل من ناحية القبيلة يكاد يكون ثلاثة أضعاف ما قيل في الناحية الشخصية وهذا معناه أن العصبية القومية كانت مساندة في ذلك الحين، حتى أستولت علي نفوس الشعراء، وسيطرت إلي حد كبير علي مشاعرهم، فكان فيها معظم إنتاجهم، ولكن هذا يدلنا من ناحية أخرى علي أن الشاعر في وسط هذا الشعور الجماعي المتسلط - ما كان لينسي نفسه كفرد قائم بذاته وكشاعر له إحساسه الخاص، فكان يتحدث عن نفسه ويفتخر بشخصيته وبطولته، وقوته، في حرية تامة، وكيف ما شاء^(٢)

وافتخرت النساء أيضا ولكن فخرهن لم يكن بأنفسهن، وإنما كان إشادة بقبائلهن وأقاربهن، فالخنساء تفخر بقومها في مجال الرثاء:

وَأَنْفِي رَجَالِي فَبَادُوا مَعَا * * فَغَوِيْرَ قَلْبِي بِهِمْ مُسْتَفْرَا

(١) شرح المعلقات السبع للزوزوني ص ١٣٠-١٣١

(٢) في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، ص ٢٧٣

وَتَلْبَسُ فِي الْحَرْبِ نَسَجَ الْحَدِيدِ * * * وَنَسَحَبُ فِي السِّلْمِ خَزْرًا وَقَزْرًا^(١)

وكذلك افتخرت عاتكة بنت عبد المطلب^(٢) بقومها فتحدثت عن شجاعتهم

وبلائهم

سَائِلِ بِنَا فِي قَوْمِنَا * * * وَكَفَاكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ

ولقد افتخرت الشاعرة بأماها عنها، من ذلك إن أم زينب بنت فروة ابن سنان

كانت أمه فارسية:

وَلَمْ يُرَ فِي أَفْنَاءِ مِرَّةٍ مِثْلَهَا * * * وَلَا عِنْدَ قَيْسِيٍّ غَنِيمَةً قَافِلِ^(٣)

وفخر المرأة علي قلته وضعفه ليس فيه من الأنوثة شيء، كالعفة والجمال

والدقة وحلاوة الحديث، وإسعاد الزوج ورعاية الأولاد وتدبير البيت وإنما هو فخر

بالرجال وأعمالهم.

ولم تختلف الإسلاميات عن الجاهليات في شيء، فمثلا ليلي الأخيلية^(٤)

بعض الفخر بهجائها للنابغة الجعدي، فتباهي بعزة قومها:

وَمَا كَانَ مَجْدُ فِي أَنْاسٍ عَلِمْتُهُ * * * مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَجْدُنَا كَانَ أَوْلَا^(٥)

أما فخر الرجال فقد كان فيه ضرب من الفخر بالقبيلة كلها حسبها وعددها

وثرائها وبطولتها، وضرب من الفخر الشخصي الفردي بمثل النوع الأول قول عمرو

بن كلثوم:

(١) ديوان الخنساء، ص ١٤٣

(٢) عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم، شاعرة، لها في أبيات الحماسة وأبيات مختارة، وهي من عمات النبي صلى الله عليه وسلم، اختلفت في إسلامها والثابت أنها كانت ويم وقعة بدر سنة ٢هـ بمكة مع شركي قريش، قال ابن سعد أسلمت بمكة هاجرت إلي المدينة. (أنظر الإعلام للزركلي، مرجع سابق/ ج ٣، ص ٢٤٢)

(٣) بلاغات النساء ١٨٢، قافل: راجع من الحرب بالغنائم

(٤) ليلي الأخيلية: ليلة بنت عبد الله الرجال بن شداد بن كعب، من بني عامر بن صعصعة، اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير، طبقتها في الشعر تلي طبقة الخنساء. توفيت بساوة (من بلاد الري) نحو ٨٠هـ. (أنظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط ١، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٥م، ١/١٩٣).

(٥) اشعار النساء للمرزباني ٤ مخطوط وبلاغات النساء ١٧٠

وَنَشْرُبُ إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْوًا * * وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِرًا وَطِينًا^(١)

وقول لبيد:

وَمَقْسَمٌ يُعْطِي الْعَشِيرَةَ حَقَّهَا * * وَمَغْذَمٌ لِحُقُوقِهَا هَضَامَهَا^(٢)

وقول أمية بن ابي الصلت^(٣)

وَأَنَا الرَّافِعُونَ عَلَيَّ مَعَدًّا * * أَكْفَأُ فِي الْمَكَارِمِ مَا بَقِينَا^(٤)

ويتمثل الضرب الثاني في الزهو باللذات والكرم والبطولة في قول عنتره:

لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا الْمُحَاوِرَةَ إِشْتَكِي * * وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامَ مُكَلِّمِي^(٥)

وكقول طرفه:

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ * * خَشَائِشُ كَرَّاسِ الْحَيَّةِ الْمُتَوَقِّدِ^(٦)

وولي الحجاج^(٧) يزيد^(١) بن الحكم كورة فارس ودفع إليه عهده بها، فلما دخل

إليه ليودعه قال له الحجاج: أنشدني بعض شعرك - وإنما أراد أن ينشده مديحا له

فأنشده قصيدة يفخر فيها ويقول:

(١) شرح القصائد العشر للتبريزي وديوان عمر بن كلثوم

(٢) جمهرة أشعار العرب ص ١١٥ ، مغذمر: يأخذ من هذا ويدع ذلك، هضامها: مناعها

(٣) أمية بن ابي الصلت هو أمية بن عبد الله بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف، الثقفي، شاعر جاهلي، من أهل الطائف، قدم دمشق قبل الإسلام، شعره من الطبقة الأولى، توفي سنة ٥٥هـ، رحل إلى البحرين، فأقام ثمانية سنين ظهر في اثائها الإسلام، ثم عاد إلى الطائف، قد علي النبي بمكة وسمع منه آيات من القرآن وأنصرف عنه. أمتنع عن الإسلام وأقام في الطائف إلى أن مات. (الأعلام

للزركلي، ١٦٨/٢)

(٤) الجمهرة ١٨٩

(٥) شرح القصائد العشر للتبريزي وديوان عنتره

(٦) شرح القصائد العشر للتبريزي وديوان طرفه، الضرب: الخفيف، خشائش: ماضي، متوقد: ذكي

(٧) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، ولد ونشأ في الطائف إليها العراق، بني مدينة واسط (بين ولاء عبد الملك بن مروان مكة والمدينة والطائف، ثم اضاف إليها العراق، بني مدينة واسط (بين الكوفة والبصرة). (أنظر ترجمته في تذهيب تاريخ دمشق الكبير، لابن عساكر، ت ٥٧١هـ ، وهذبه الشيخ عبد القادر بدران ط ٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م ٥١/٤، والأعلام

للزركلي، ١٦٨/٢)

وأبي الذي سَلَبَ ابْنَ كِسْرَى رَأْيَةً * * * بِيضَاءَ تَخْفِقُ كَالْعُقَابِ الطَائِرِ

فغضب الحجاج واسترجع منه العهد، ثم سأله أيهما خير لك ما أورثك أبوك
أم هذا فقال يزيد

وَوَرِثْتُ جَدِّي مَجْدَهُ وَفِعَالَهُ * * * وَوَرِثْتُ جَدَّكَ أَعْنَزًا بِالطَائِفِ (٢)

وللفرزدق شعر يذكر فيه وقعة وكيع هذه مفتخرًا:

خَبِيرُ بِأَعْمَالِ الرِّجَالِ كَمَا جَزِي * * * يَبْدِرُ وَبِالْيَرْمُوكِ فَيءِ جَنَانِ (٣)

فالشاعران الفرزدق (٤) والطرماح (٥) يفخران بما نزل بقتيبة، وكل يدعي النصر
لقومه، وإنهم أصحاب البلاد والانتصارات للخليفة.

وقد رأيت رثاء في قتيبة قصيراً، وكثر رثاؤه ومنهم الأصم بن الحجاج
الباهلي، ورثاؤه هذا فجر بفتوح قتيبة، ومآثره علي الدولة وبعد آماله وحيلولة الموت
بينه وبين ردم ذي القرنين.

الأصم بن الحجاج:

ألم يئن للأحياء أن يعرفوا لنا * * * بلي نحن أولي الناس بالمج والفخر (٦)

يفتخر الشاعر بفتوحات قتيبة وانتظاراته علي ذي القرنين ألم يعرف العالم كله
أننا أصحاب النصر والفتوحات.

(١) يزيد بن الحكم بن ابي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان من أعيان العصر الأموي ، من أهل الطائف، سكن البصرة وولاه
الحجاج كورة فارس، ثم عزله توفي نحو ١٠٥ هـ (أنظر الأعلام للزركلي، ج ٨/٨١)

(٢) الأغاني ج ١١، ص ١٠٠ بولاق

(٣) راجع شرح نقائض جرير والفرزدق ص ٣٦٣

(٤) الفرزدق : هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مشاجع بن دارم التميمي المعروف بالفرزدق
من أهل البصرة، توفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ، وقد قارب المائة من آثاره ديوان شعر . (أنظر هدية العرابين، ج ٢/ص ٥١٠

(٥) الطرماح بن حكيم بن الحكم، من طيء ، شاعر إسلامي ، فحل ، ولد ونشأ في الشام، وأنتقل إلي الكوفة، وأعتقد مذهب الشراة من
الأزارقة، أتصل بخالد بن عبد الله القسري، وكان هجاء، معاصر للكعبية، توفي نحو ١٢٥ هـ. (أنظر الأعلام، للزركلي، ج ٣،

ص ٢٢٥)

(٦) أنظر الأعلام للزركلي، ج ٣، ص ٢٢٥

القطامي^(١) عمر بن شيم التغلبي ابن أخت الأخطل^(٢)، وقد وقف مع قومه
يفخر بهم علي غرار قوله:

ربيعةُ أبائي الألي اقتسموا العلي * * إذا عُدَّ باقي من زمان وسالف^(٣)

هذا ولم يسلم فخره علي الأخطل من الملاحظة المضرة، وما ظفرت به من
مجد ديني وسياسي معا في حين حرمت تغلب كل شيء:

هاذا ابنُ عمِّي في دِمَشقَ خَلِيفَةً * * لَوْ شِئْتُ سَأَقُكُمُ إِلَيَّ قَطِينًا^(٤)

وإن جرير يفخر بأبناء إسماعيل وإسحاق

إذا افتخروا عَدُوًّا الصَّبهَدَ مِنْهُمْ * * وكِسْرَى وَآلَ الْهَرْمُزَانَ وَقَيْصَرَ^(٥)

ويذكر لسليمان رعايته آل المهلب بعد خلاصهم من أسر الحجاج وأن نقم
عليهم وعلي اليمن عامة والأزد خاصة بصدد ثورة يزيد بن المهلب^(٦) علي يزيد بن
عبد الملك^(٧) هذه الفرصة فيفخر بمضر علي اليمن ويقومه تميم فيقول فيهم:

لَعَمْرِي لَقَدْ عَابُوا الْخِلَافَةَ إِذْ طَعَوْا * * وَفِي يَمَنِ عَبَادَهَا إِذْ يُبِيدُهَا^(٨)

(١) القطامي عمير بن شيبم بن عمرو بن عباد من بني جشم بن بكر التغلبي الملقب بالقطامي، شاعر غزل فحل، كان من نصاري
تغلب في العراق، من الطبعة الثانية من الإسلاميين، وأسلم، من آثاره ديوان شعر، توفي نحو ١٣٠هـ. (أنظر معجم المؤلفين، عمر
رضا كحالة، ٥٨٦/٢هـ).

(٢) الأغاني ج ٢١، ص ١٨ بولاق، والديوان والشعر والشعراء ص ٢٧٧

(٣) الأخطل هو غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو التغلبي الملقب بالأخطل (أبو مالك)، نشأ علي المسيحية في أطراف
الحيرة بالعراق، وكانت إقامته طورا في دمشق مقر خلفاء بني أمية، تهاجي مع جرير والفرزدق، ولد سنة ١٩هـ، وتوفي سنة ٩٠هـ.
(أنظر الموشح مأخذ العلماء علي الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، للمرزباني، أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى،
تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، ١٩٦٥م، ص ٢١١، ومعجم المؤلفين، مرجع سابق، ٦٠٥/٢).

(٤) الأغاني، ص ٥٧٨

(٥) المرجع السابق، ص ٢٤٢

(٦) يزيد بن المهلب بن ابي صفرة الأزدي، أبو خالد، أمير، ولي خراسان، بعد وفاة أبيه سنة ٨٣هـ، فمكث نحو ستا سنين وعزله عبد
الملك بن مروان برأي الحاج، ولد سنة ٥٣هـ، وتوفي سنة ١٠٢هـ قتل بين واسط والعراق في مكان يسمى العقر، أنظر: وفيات الأعيان،
لابن خلكان، ج ٥/٢٣٣

(٧) يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو خالد، من ملوك الدولة الأميرية في الشام، ولد في دمشق ٧١هـ، وولي الخلافة بعد وفاة عمر بن
عبد العزيز سنة ١٠١هـ، وتوفي سنة ١٠٥هـ، أنظر: النجوم الزاهرة، لابن تغريبردي الأتباري، ج ١، ص ٢٥٥، مرجع سابق، والأعلام

ويفتخر عمرو بن الأيهم^(٢) بإصلاح ما أفسدته الحرب بين القبائل، يفتخر معاوية ابن مالك بدعوته إلي الإسلام في وقت الحرب وقيامه بمهمة سياسية ترأب الصدع بين القبائل وتتهي ما بينها من أحفاد:

بِحَمْدِ اللَّهِ ثُمَّ عَطَاءٍ قَوْمٍ * * يَفْكَوْنَ الْغَنَائِمَ وَالرِّقَابَا^(٣)

وانطلاقاً من العقد الفني بين الشاعر وقبيلته، وتأكد للعقد الاجتماعي بينه وبينها تصبح القبيلة كلها موضوعاً لفخره يتعني بأمجادها وشرفها ومفاخرها يقول الأخنس:

أري كُلَّ قَوْمٍ قَارِبُوا قَيْدَ فَحْلِهِمْ * * وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهَوَّ سَارِبُ^(٤)

ومن منطلق نفسه نرى الشاعر أحياناً يقوم بدور الداعية لقبيلته الذي لا يفتي أن يردد فخره بها، يصور في إحداها صدق عزيمتهم وحسن بلائهم فيها، ويندد بمن نكلوا بهم من القبائل والفرسان:

أَمِنْ آلِ مَيِّ عَرَفَتِ الدِّيَارَا * * بِحَيْثُ الشَّقِيقُ خَلَاءَ قِفَارِ^(٥)

ويصور في الثانية ما أصاب نساء العدو من زهول واضطراب ، ثم يصور حال الرجال بين قتيل وجريح وأسير وممنون عليه بالفداء وفي كل هذا يفخر بقومه ويرى قبيلته مأوى الصارخ وملجأ المستغيث^(٦).

ويفتخر في الثالثة بشجاعته وكرمه وعزته من ناحية وبشجاعة قومه وبأسهم وعزهم^(١).

(١) المرجع السابق، ص ٦٨٧

(٢) عمرو بن الأيهم بن الأفلت التغليبي شاعر، من نصاري تغلب في العصر الأول للإسلام، من سكان الجزيرة الفراتية، قيل أسمه عجبر كان معاصراً للأخطل، مات الأخطل قبله، توفي نحو ١٠٠ هـ، وشعره مثير، الأعلام خير الدين الزركلي، ج٤، ص ٧٤

(٣) المفضلية ١٠٥، ص ٣٥٦، الأبيات ١٢-٢٢

(٤) المفضلية ٤١، ص ٢٠٣، الأبيات ٢٥-٢٧

(٥) المفضلية ١٢٤، ص ٤١٢

(٦) المفضلية ٩٤، ص ٣٢٧

ومن هنا يمكن أن نلمس توثيقا لما عرضه التاريخ من أيام العرب يمكن أن ندخلها بسهولة في باب وتظل لها قيمتها التاريخية. ويفتخر بانتصار قومه فيه وهزيمة أعدائهم، وذلك في قصيدته (الأخنس) سائل معدا:

مــــــــــــن الفــــــــــــوارس لا * * أوفــــــــــــوا بجيــــــــــــرانهم ولا غنــــــــــــمــــــــــــوا^(٢)

(١) المرجع السابق، ٩٥، ص ٣٢٨

(٢) المرجع السابق، ٥، ص ٣٦

المبحث الثالث

المدح

المدح: المديح اسمك مشتق من الفعل الثلاثي مَدَحَ يَمْدَحُ مَدْحًا إذا أحسن الثناء عليه أي ضده ذمه، وجمع المديح المدائح والأمدحة أما ديح بمعنى ما يمدح به^(١).

والمديح هو التغني بربيع المزايا، نشأ علي الإعجاب بالفضائل ثم داخله حب التكسب لرغبة العظماء فيه ولحاجة الشعراء إلي النوال^(٢).

وقد أكثر المديح في العصر الجاهلي حب التكسب لرغبة الملك والسادة فيه ولحاجة الشعراء إلي الرفعة والمجد والغني فصار وسيلة أو حرفة لتكسب العطايا الجزيلة من الممدوحين وفنا يعني به بلغة التأثير في ذوي السلطان والنوال^(٣).

المديح تحدث بالخصال الطيبة، والخصال الحميدة والمزايا المألوفة، والسجايا المعروفة، التي تتطوي تحت الفضائل العامة والصفات الكريمة للإنسان أن يبلغه من المجد ما يصل إليه من الخير وتسمو له نفسه من السؤدد عن طريق الاكتساب أو الورثة غير أن الأدباء متفقون علي أن الثناء الذي يسنده المتكلم إلي ضميره، أو إلي معشر الذين هم من أصوله أو فروعه، أو ذوي شأنه، من قبيل " الفخر " ولكن الذي يسنده إلي المخاطب أو الغائب من كل ذي مكانة بعيدة، أو منزلة رفيعة أو موهبة بارزة، أو صفة مشكورة أو أثر ظاهر من قبيل المديح^(٤).

وكان الجاهليون يمدحون بالمواعظ التي يفتخرون بها، والمدح في الجاهلية كان فريقين مديحا للشكر والإعجاب يغلب علي أهل البادية كما نري عند امرئ القيس وعند زهر بن أبي سلمي، ثم مديحا للتكسب يغلب علي أهل الحضر وساكني أو المترددين علي الحضر، كما نري عند النابغة والأعشي^(٥).

(١) لسان العرب ابن منظور، مادة مدح، فصل الميم ٥٨٩/٢

(٢) الجاهلية أدب وفن وتاريخ، جورج غريب، ص ٧٥-٧٦

(٣) التاريخ الأدبي للعصر الجاهلي والإسلامي، علي محمد حسن، ص ٤٩

(٤) بحوث في الأدب الجاهلي، مرجع سابق ص ٥٥

(٥) تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، شوقي ضيف ٢١٠/١

وكان عندهم مديح واسع يمتدحون فيه بمناقب قبائلهم وساداتهم، وكانوا كثيرا ما يمدحون القبيلة التي يجدون فيها كرم الجوار متحدثين عن عزتها وأبائها وشجاعة أبنائها وما فيهم من فتك بأعدائهم وإكرام لضيوفهم ورعاية لحقوق جيرانهم^(١) وسبيل الشاعر - إذا مدح ملكا - أن يسلك طريقة الأيضاح والإشادة بذكره للممدوح، وأن يجعل معانيه جزلة وألفاظه نقية غير مبتذلة سوقية ويجتنب مع ذلك التعقيد والتجاوز والتطويل إذا كان الممدوح ملكا لما يبال الشاعر كيف قال فيه ولا كيف أطنب، وذلك محمود، وسواه مذموم.

إن الملوك لا تمدح بما يلزمها فعله كما تمدح العامة إنما تمدح بالإغراق والتفصيل بما لا يتسع غيرهم لبذله.

قول زهير في هرم بن سنان، ولذلك حسن قوله:

هُوَ الْجَوَادُ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ * * عَفَوًا وَيُظَلِّمُ أَحْيَانًا فَيَظِلُّمُ^(٢)

وكان الشعراء في مدحهم يؤثرون القصد وبيتعدون عن المبالغة ولعلمهم كانوا يشعرون بكرم نفوسهم، فلا يفرقون في تقديس الممدوح ولعل حياة الصحراء السانجة البسيطة حببت إليهم البساطة في كل شيء^(٣)

كانوا يمدحون فلا يبالغون في رفعة الممدوح وإنما يؤثرون إصابة الصواب ويحفلون للحقائق ككل الأمم البدوية التي لم تتلوث طبائعه أكاذيب المدينة، أنظر إلي ذلك في قول زهير بن أبي سلمى في حصن بن حذيفة:

وَابْيَضَ فَيَاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ * * عَلِيَّ مُعْتَقِيهِ مَا تُغِبُّ فَوَاضِلُهُ

بَكَرَتْ عَلَيْهِ غُدْوَةٌ فَرَأَيْتُهُ * * فَعُودًا لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَادِلُهُ

يُقَدِّئُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا يَلْمَنَهُ * * وَأَعْيَا فَمَا يَدْرِينِ أَيْنَ مَخْتَالُهُ

فَاقْصَرْنَ مِنْهُ عَن كَرِيمٍ مُرَزَّءٍ * * عَزُومٍ عَلَيَّ الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ فَاعِلُهُ

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي د. علي الجندي ص ٣٨٢

(٢) العمدة، مصدر لابن رشيقي، ج ٢، ص ١٢٨-١٣٠ ديوان زهير ص ٤٥

(٣) تاريخ الأدب العربي للعصرين الجاهلي والإسلامي، ص ٤٩

أخي ثِقَّةٍ لا تُتْلِفُ الخَمْرُ مالَهُ * * * وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ المَالَ نَائِلُهُ
تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً * * * كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ^(١)

وقال قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر " لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس لا من طريق ما هم مشتركون فيه من سائر الحيوانات، علي ما عليه أهل الألباب من الاتفاق في هي: العقل والعفة، والعدل والشجاعة، كان القاصد للمدح بهذه الأربعة معيبا وبما سواها مخطئا^(٢) فقال زهير:

أخي ثِقَّةٍ لا تُتْلِفُ الخَمْرُ مالَهُ * * * وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ المَالَ نَائِلُهُ

لأنه قد وصف بالعفة لقلّة إمعانه في اللذات وأنه لا ينفذ فيها ماله، بالسخاء لإهلاك ماله في النوال وانحرافه إلي ذلك عن اللذات وذلك هو العقل، ثم قال:
تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً * * * كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

أراد أن فرحه بما يعطي أكثر من فرحه بما يأخذ فزاد في وصف السخاء منه.
ثم قال:

وَمَنْ مِثْلُ حِصْنٍ فِي الحُرُوبِ وَمِثْلُهُ * * * لِإِنْكَارِ ضَمِيمٍ أَوْ لِأَمْرِ يُحَاوِلُهُ

فأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل، فاستوف ضرور المدح الأربعة، التي هي فضائل الإنسان علي الحقيقة^(٣).

ومن العيب أن يضع المادح الأوصاف لغير أصحابها والنعوت لغير المستأهلين لها.. وكان العربي إذا مدح لم يتجاوز الصدق، ولم يعد وجه الصواب، ولا يلبس الهر ثوب الفهد، أنت كسب الشعراء بالشعر وجعلوه بضاعة مزجاة، وهنالك تجاوزا الحد وتخطوا المألوف، واللهو الممدوح، وكان ذلك بعد أن صار المديح تجارة

(١) الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي د. ج. هيوارث د ن ص ١٠١ ديوان زهير ص ٣٠-٣١

(٢) نقد الشعر: قدامة بن جعفر ص ٩٦

(٣) العمدة في صناعة الشعر لابن رشيق، ص ١٣١-١٣٢

يبذل لصاحبها العطاء علي قدر ما بذل فيها والأخبار الخداعة، فإن تعطني أفرغ
عليك مداحي أو كما يقول المتنبي :
أجزني إذا أنشدت شعراً فإنما * * بشعري أتاك المادحون مُردداً
وَدَع كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي فَإِنِّي * * أنا الصائحُ المحكي والآخرُ الصدي
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُؤَاهِ قَلَائِدِي * * إذا قُلْتُ شعراً أصبحَ الدهرُ مُنْشِداً

إلا أن الشاعر الجاهلي وهو لم يكن يري أن أحدا أعظم منه لم يبالغ في
الثناء، ولا ينادى عن الحقيقة في التفريط بل خلط القباء علي جسم صاحبه.
والمديح من الأغراض التي دعت إليها طبيعة الحياة الجاهلية والشعر فيه
صورة من صور الرجولة والأبء، والشمم والعزة، والصراحة، والحق، والكرامة
والواجب، ولا عيب فيه إلا إذا ألمه بالمادح وأحاط به تهمة الاستجداء وشبهة
الارتزاق، وهو لا يليق من السوق للسادة ومن الدهماء للملوك ومن القرآن لنظرائهم،
ولكنه لا يليق من الكبير للصغير ولا من العظيم للحقير، إلا إذا كان أعزاء بالفضل
وحفزا للمجد ودفعاً إلي السؤدد. وتقويماً علي الجادة^(١)

وأعلام المديح في الجاهلية خمسة: زهير بن أبي سلمى الذي أوقف علي
إشراف قومه، والنابغة الذبياني الذي مدح ملوك المناذرة، والغساسنة، وحسان بن
ثابت^(٢) الذي أختص بمدح الغساسنة والأعشي الأكبر والخطيئة اللذان مدحا كل من
جادت يده بطاء وعرفا بشاعري التكسب بلا منازع.

أما زهير فديوانه مملوء بمدح إشراف غطفان وأصحاب الفضل والمعروف
وأحسن مديحه وأصدقه في هرم بن سنان^(٣) والحارث بن عوف^(٤) الذين أصلحوا ذات
البين بين قبيلتي عبس وذبيان.

(١) بحوث في الأدب الجاهلي/ ص ٥٥-٥٦

(٢) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناه بن عدي بن عمرو بن مالك النجار وأسمه يتم الله بني ثعلبة بن عمرو
بن الخزرج، وإنما سمي العنقاء لطول عنقه وكانوا يسمونه بن معاله ويكني أبا الوليد وهو فحل من فحول الشعراء، وقد قيل أنه اشعر
أهل المدر وكان المعمرين المخضرمين عمر مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الإسلام.

(٣) هرم بن سنان بن أبي حارثة المرثي، من مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، من أجود العرب في الجاهلية كان ممن دخل في
الإصلاح بين عيسى وذبيان، مات قبل الإسلام، في أرض لبني أسد يقال لها (رزاء) وهو متوجه إلي النعمان، توفي نحو ١٥ ق هـ،

أظر : الإعلام خير الدين الزركلي، ج ٨/٨٢

والمتحاربين من أجل رهان علي سباق بين فرسين اسمهما داحس والغبراء
والى هذين السيدين يشير زهير في معلقته حين يقول منوها بصنيعهما في تدارك
الموقف وتحمل أعباء ديات القتلى من مالهما الخاص وحقق الدماء بإتمام الصلح:
فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ * * رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمُ
يَمِيناً لَنِعَمِ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُمَا * * عَلَي كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمِ
تَدَارَكْتُمَا عَبَساً وَذَبِيانَ بَعْدَ مَا * * تَقَانُوا وَدَقَّقُوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمِ
وَقَدْ قُلْتُمَا أَنْ تُدْرِكَ السَّلْمُ وَاسِعَا * * بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسْلَمِ
فَأُصْبِحْتُمَا مِنْهَا عَلَي خَيْرِ مَوْطِنِ * * بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَآثِمِ
عَظِيمَيْنِ فِي عَلِيَا مَعَدِّ * * وَمَنْ يَسْتَبِحُ كَنْزاً مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمُ (٢)

وأما النابغة، فقد كان شاعر بلاطي الحيرة، الذين قربوه إليهم وأغرقوا عليه
العطايا من مال ونياق وله في معلقته أبيات يمتدح فيها النعمان أبا قابوس ابن
المنذر الربع ذاكرا فضله ووهبه الواسع:
فَتِلْكَ تَبْلِغُنِي النُّعْمَانَ إِنَّ لَهُ * * فَضْلاً عَلَي النَّاسِ فِي الْأَدْنَى وَفِي الْبَعْدِ
وَلَا أَرِي فَاعِلاً فِي النَّاسِ يُشْبِهُهُ * * وَلَا أَحَاشِي مِنْ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدِ
أَعْطَى لِفَارِهِةٍ حُلُوٍ تَوَابِعُهَا * * مِنْ الْمَوَاهِبِ لَا تُعْطَى عَلَي نَكْدِ
الْوَاهِبِ الْمِئَةَ الْمَعْكَاءَ زَيْنَهَا * * سَعْدَانُ تَوْضِحَ فِي أُوْبَارِهَا اللَّيْدِ (٣)

أما حسان فقد مدح الغساسنة القائل في وصف كرمهم وشرف أصلهم ونسبهم
لِلَّهِ دَرُ عِصَابِيَةٍ نَادِمَتْهُمْ * * يَوْمَماً بِجَلِّقَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
أَوْلَادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ * * قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ

(١) الحراث بن عوف المري ، قدم علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وبعث معه رجلا من الأنصار إلي قومه ليسلموا، فقتل الأنصاري، قال فيه حسان بن ثابت شعرا، أنظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ١، ص ٣٦٠، والأعلام للزركلي ج/ص ١٥٧
(٢) شرح المعلقات للرزوني ص ٧٨-٨٩
(٣) ديوان النابغة ص ١٢-١٣ الفارحة : المطية الكثيرة العطاء المعكاء: الغلاظ.

بيض الوجوه كريمه أحسابهم * * شُم الأئوف من الطراز الأول
يُغشون حتى ما تهر كلابهم * * لا يسألون عن السواد المقبل^(١)

أما الخطيئة^(٢) فقد كان مثل الأعشي كسابا مجيدا لفن المديح يمدح من
أعطاه ويهجو من خيب سعيه وكان إذا مدح عن طمع رفع ممدوحه وإليه ما قاله في
استعطاف عمر بن الخطاب متذرا بحاجته إلي التكسب لإطلاق سراحه:

ماذا تقول لإفراخ بذي مرخ * * حُمِر الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسيهم في قعر مظلمة * * فأغفر عليك سلام الله يا عمر^(٣)

والأعشي في مدحه للعظماء يضح بطلبه العطاء، فمثلا عند ما مدح قيس
بن معد يكره الكندي، وأفاض في الثناء عليه قال:

ونبئت قيساً ولم أبه * * كما زعموا خير أهل اليمن
رفيع الوساد طويل النجاد * * ضخم الدسيعة رحب العطن
يشق الأمور ويجتابها * * كشق القراري ثوب الرذن
فجئتك مرتاد ما خبروا * * ولولا الذي خبرا لم تزن
فلا تحرمني نذاك الجزيل * * فإني أمرو قبلكم أم هن

(١) الأغاني لأبي فرج الاصبهاني ج ١٥ ص ١٥٧-١٥٨

(٢) الخطيئة لقب لقب به، وأسمه جروم بن أوس بن مالك بن جزيه بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عيسي بن يفيض بن
الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار وهو من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصائحهم متصرف في جميع
فنون الشعر من المديح والهجاء، والفخر والنسيب، مجيد في ذلك أجمع وكان ذا شر وسفه بونسبه متواقع بين قبائل العرب، وكان ينتمي
إلي كل واحدة منها إذا غضب علي الآخرين وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام فاسلم ثم ارتد ويكني الخطيئة أبا مليكة وقيل: أن
الخطيئة غلب عليه ولقب له لقصره وقريه من الأرض كان ينتمي إلي بني هذل بني ثعلبة ، وأنتسب إلي عدة قبائل منها عبس كان إذا
غضب من بني هذل يقول أنا من عبس والعكس وقيل أنه كان يضرب بنسبه أبي بكر بن وائل شعر شاعر الا وجدت فيه مطعنا فيه
مطعنا وما اقل ما تجد ذلك في شعره.

(٣) ديوان الخطيئة ص ٢٠٨

وكيفما كان القصد من المديح خالصا في القصيدة القديمة التي تستهل بالغزل ثم تتابع بذكر السفر ووصف الناقة فالانتقال إلي المدح والممدوح ومعاني المدح المترددة علي أسنة المادحين هي الصفات أو الخصال اتلي يفخر بها الإنسان البدوي من كرم وعزم وشجاعة، وشرف واصل ورفعة نسب وكل تلك المعاني العظيمة تدبج في أسلوب فخم جزل فيه مبالغة في النعوت وضرب الأمثلة لإقناع وإرضاء الممدوحين واستدرار نعمهم كقول النابغة الذبياني في وصف النعمان بشمس تكشف بضيائها الكواكب والملوك:

فإنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ * * إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَكِبُ^(١)

معني ذلك إن الاعتزاز نشأ من المديح وفي ظله، وإن كانت تتداخل فيه عاطفة الخوف مع عاطفة الشكر والرجاء ومما ينحو نحو الاعتزاز ما ظهر عندهم من فنون عتاب كان ينشئه بعض الشعراء علامة لما قد يصيبه من أذى الأقارب^(٢)، وإذا أعتذروا من ذنب أو تنصلوا من هفوة تلتفوا في الدعاء إلي العفو وتقدموا بأدب العتب الممزوج بالخوف من الوعيد والقلق موجهه المعتذر إليه^(٣).

وقد نشأ من المديح الاعتذار كما نجده في شعر النابغة الذي اضطرتة وشاية الوشاة أحيانا إلي اللجوء إليه لدرء التهم عنه ومحاولة استرجاع العلاقة الطيبة بينه وبين ممدوحيه وأولياء نعمته ومن أمثلة مزج الاعتذار بالمدح قول النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر بعد ما تناهي إليه خبر لومه كالصاعقة مقسما بغليظ اليمين إن ما أبلغه الواشي إليه عن خيانتة ما هو الاغش وكذب وافتراء ونميمة ملفقة لزرع بذور الشقاق بينهما:

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني * * وتلك التي أهتم منها وأنصب

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * * وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيائنة * * لمبلغك الواشي أغش وأكذب

(١) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ص ٧ ديوان النابغة ص ٢٨

(٢) تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ج ١، ص ٢١١، السباعي بيومي.

(٣) الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، ص ١٠٢ هيوارث د ن مكتبة الثقافة العربية

فإنك تر أن الله أعطاك سورةً * * تري كل ملك دونها يتدبذب

فإنك شمس والملوك كواكب * * إذا طلعت لم يبد منها من كواكب

فإنك أك مظلوماً فعبد ظلمته * * وإن تك ذا عتبي فمهلك يُعتب

فالشاعر في مدحه المشوب بالاعتذار ينتصب مثل المحامي اللبق الذي يدافع عن نفسه بالحجج القوية ويستعمل دهاءه وأساليب التذلل والاسترضاء والاعتذار للوصول إلي قلب الملك الغاضب عليه فيؤثره ويعفو عنه وبذلك يكون النابغة قد فتح باعتذارياته باب العتاب السياسي وهو فارس هذه الحلبة الجاهلية^(١)

فقد كان الاعتذار قليلا في الشعر الجاهلي ويأتي عادة لإظهار الندم علي فعل حدث أو حال وقعت ويريد المعتذر أن يبرئ نفسه لينجو من اللوم أو يحاول العادي وقد ورد في هذا أبيات لكثير من الشعراء ولكنه لم يحتل مكانا هاما في شعر كل منهم^(٢) ويقول ابن رشيقي في عمدته: " ينبغي للشاعر إن لا يقول شيئا يحتاج إلي أن يعتذر منه فإن اضطره المقدار إلي ذلك وأوقعه في القضاء فليذهب مذهبا لطيفا ليقصد مقصدا عجيبا ليعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر إليه وكيف يسمح إعطافه ويستجلب رضاه فإن إتيان المعتذر من باب الاحتجاج وإقامة الدليل خطأ الملوك ذوي السلطان، وحقه أن يلطف برهانه مدمجا في التضرع والدخول تحت عفو الملك وإعادة النظر في الكشف عن كذب الناقل. ولا يعترف بما لم يجفه خوف تكذيب سلطانه أو رئيسه ويحيل الكذب علي الناقل، فأما مع الأخوان فتلك طريقة أخرى^(٣).

(١) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي/ ص ٧٢-٧٣ ديوان النابغة ص ٣٧-٣٨

(٢) ينظر في تاريخ الأدب الجاهلي، ص ٤٠٥

(٣) العمدة في صناعة الشعر لابن رشيقي القيرواني، ص ١٧٦

المبحث الرابع

الرثاء

الرثاء في اللغة مصدر الناقص اليائي رثى يرثي رثاية ورثاء ومرثاة ومرثية (وجمعها مرث) الميت إذا أبكاه وعدد محاسنه وفي الاصطلاح مدح الميت، أسوة بمدح الحي في المديح وتعداد خصائله وإظهار اللوعة والحزن عليه^(١) وهو أن يندب الميت ومعناه التوجع^(٢)

الرثاء من الفنون التي وجد فيها الشعراء لأنه تعبير عن خلجات قلب حزين، وفيه لوعة صادقة وحسرات مرة، ولذلك فهو من الموضوعات القريبة إلي النفس، لأن الرثاء الصادق تعبير مباشر قلما تشوبه الصنعة أو التكلف، والحياة الجاهلية حياة حرب ودماء وغارات يسقط إثرها القتلي فيبكي الأهل والأصحاب قتلاهم، ويثيرون ببكائهم دموع قبائلهم ويؤججون أحزانهم فيدفعونها لشحن سيوفهم استعدادا لجولة جديدة تظفي نار غيظهم وتشفى أحقادهم بالفوز بثأرهم والظفر برؤوس أعدائهم^(٣).

الحروب الكثيرة والغارات المتوالية، أكثرت من قتلاهم، فكان من ذلك فن الرثاء ، وربما كان الغض من بعض الأحاديث إثارة القبيلة لتأخذ بالثأر، فإن كان الراثي امرأة ظهر الحزن والتفجع في رثائها ولعل أكمل مثل لذلك الخنساء في رثائها لأخيها صخر، وربما رثاء الشاعر نفسه قبل موته، ولكن ذلك قليل الرثاء، وأكثر فنون الشعر للتهويل والتضخيم، كما نراه في عصرنا وفي عصور المبالغات وجموح الخيال ولكن الرثاء في العصر الجاهلي يمتاز بالصدق والقرب من الواقع فإذا كان المرثي بطلا كان أكثر ما يردد في رثائه وصفه بالشجاعة، والثبات في القتال إذا كان المرثي جواد شاع في المرتبة الوصف بالجوهر وكثر البذل وهكذا^(٤) يرثون فلا يعمون إن النشاء قد وقعت علي الأرض وإن الأفلاك تحيرت في مدارجها وإنما سيكون المرثي صبره علي المكروه ووفائه في الملمات وحفظه للعواقب^(٥)

(١) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ص ٧٣-٧٤

(٢) لسان العرب لابن منظور، مادة رثاء ، ج ٥، ص ١٣٨ ، بيروت - لبنان

(٣) الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، ص ٣١١ ، يحيى الجبوري مؤسسة الديالة ط ٤ ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م بيروت - لبنان.

(٤) تاريخ الأدب للعصرين الجاهلي والإسلامي الأول ، ص ٥٢-٥٣

(٥) الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي/ ص ١٠٢ - هيوراث د ن. مكتبة الثقافة العربية

والرثاء من الأغراض الشعرية التي يهتمون بها اهتماما بالغا ويعتنون بها عناية عظمي وقد أخذ من فراغهم وتفكيرهم الكثير ونقل لنا منه القدر الوافر وأتسع الخوض فيه، والحديث بصورة رائعة من البلاغة، وأساليب متنوعة من الخيال، لأنه مظهر من مظاهر فجيعةهم، في أصفائهم الذين فقدوهم، وإخوانهم الذين فارقوهم أو أهلهم الذين هجروهم، وهو المديح والفخر، وتبرز فيه صفات الشخص، وتبدو فيه ملامح الإنسان، وتنتزح فيه المزايا التي تدل علي فداحة المصاب، وعظم الفجيعة، وهول النازلة، وضخامة الكارثة، وفرق بينه وبين المديح إن المديح ذكر محاسن الأحياء أما هو فإنه ذكر لمحاسن الأموات

مما كان معروفا في الأغراض الأخرى إقحامهم الغزل فيها، واستفتاحه بها، وتناولها لجملة من المعاني، لكن الرثاء لا يكون فيه إلا التفجع والحسرة، والتلهف، والأسى واستشعار الجوع إذا كان الميت من ذوي الرياسة والأقدار - وهو عند العرب وقبل الإسلام - ذو شأن كبير لما كان عندهم من حروب ذات بال لا تزال تفتك بالشجعان، وقد شاركت فيه المرأة أكثر مما شاركت في غيره من أغراض الشعر لأنها اشجي قلبا وأشد جزعا، وأكثر لوعة، وأغزر دموعا، وأحر كيدا^(١)

المرأة تنوح ويرد عليها صواحبها، وقد حدثنا الرواة إن الخنساء كانت تخرج إلي عكاظ فتندب أخويها وكانت هند بنت عتبة أم معاوية تحكيها نائحة أباه^(٢) والرثاء بصفة عامة مجال فسيح بدت فيه عواطف المرأة وذرفت دموعها، وأعلنت آهاتها ونواحها فإذا كانت شاعرة صاغت هذه العواطف في شعر يصور لوعتها وحرقتها^(٣)

وكان الحزن يبدو عليهم واضحا حينما يفقدون عزيزا - وكل أفراد العشيرة عزيز - فتتحرك الشاعرية، وتعبّر عن الأسى الذي عمهم والخسارة الفادحة التي نزلت بهم وبغيرهم ممن كان الفقيد ملاذ لهم^(٤)، وكثيرا ما تداخله الحكمة وذكر

(١) بحوث في الأدب الجاهلي ، ص ٥٨-٥٩

(٢) تاريخ الأدب العربي ، شوق ضيف، ج ١ ص ٢٠٧

(٣) الأصول الفنية لشعر الجاهلي ، ص ٥٧ سعد إسماعيل شلي ، مكتبة غريب

(٤) في تاريخ الأدب الجاهلي، ص ٣٩٤

حوادث الأيام^(١) وكان من عادة القدماء فيه، إن يضربوا الأمثال بمن سلف من الأنبياء والملوك والأمراء والعظماء^(٢)، ومن أبرز الرثائيين في الجاهلية لخنساء^(٣)، ومهلل بن ربيعة^(٤).

ودريد بن الصمة^(٥)

يقول ابن رشيقي(سبيل الرثاء ان يكون ظاهر التفعج، يبين الحسرة، مخلوطا بالتلفهف الأسف ولاستعظام، إن كان الميت ملكا أو رئيسا كبيرا)، كما قال النابغة في حصن بن حذيفة:

يَقُولُونَ حِصْنَ ثَمَّ تَأْبَى نُفُوسُهُمْ * * وَكَيْفَ بِحِصْنٍ وَالْجِبَالُ جُمُوحُ
وَلَمْ تَلْفِظِ الْمَوْتَى الْقُبُورُ وَلَمْ تَرَلْ * * نُجُومُ السَّمَاءِ وَالْأَدِيمُ صَاحِيحُ
فَهَمَا قَلِيلٌ ثَمَّ جَاءَ نَعِيهِ * * فَظَلَّ لِذِي الْحَيِّ وَهُوَ يَنْوَحُ^(٦)

(١) الجاهلية فن وأدب وتاريخ، ص ٧٦

(٢) تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، السباعي بيومي ج ١/ ص ١١٥

(٣) الخناس: هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد- الرياحية، السلمية، من بني سليم، من قيس عيلان، من مضر أشهر شواعر العرب، من أهل نجد عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي وأدركت الإسلام فاسلمت، ووفدت علي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها بني سليم أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها (صخر ومعاوية) وكانا قد قتلا في الجاهلية، لها ديوان شعر، توفيت ٢هـ. أنظر الأعلام للزركلي، ج ٢، ص ٨٦

(٤) مهلهل بن ربيعة: هو عدي بن ربيعة بن مرة بن هبيرة من بني جشم، من تغلب/ من أهل نجد وهو خال امرئ القيس الشاعر، توفي نحو ١٠٠ ق هـ، انظر

(٥) دريد بن الصمة: هو دريد بن الصمة الجشمي البكري، من هوازن، كان سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم، أدرك الإسلام ولم يسلم، قتل علي دين الجاهلية يوم حنين سنة ٨هـ، أنظر : الأعلام للزركلي، ج ٢، ص ٣٣٩

(٦) العمدة لابن رثيق، ج ٢/ص ١٤٧

وللرثاء ثلاثة وجوه: عزاء - وندب وتأبين

١/ العزاء:

يتجه إلي التفكير في رحلة لحياة ومصير الناس وحتمية الأقدار ونزول
البلاء وضعف الإنسان أمام نوازل الدهر ومصائب الزمان، فيلتمس في كل ذلك
السلوة والصبر والرضا بما نزل به والاستسلام للقدر. وقد عبرت الخنساء عنه
تعذبها بكثرة من نكبوا بأهلهم وكثرة الباكين حولها تقول:

وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي * * عَلِي إِخْوَانِهِمْ لَقَاتَلْتُ نَفْسِي
وَأَكِين لَّا زَالُ أَرِي عَجْوَلًا * * وَبَاكِيَةً تَتَوَخَّحُ لِيَوْمِ نَحْسِ
أَرَاهَا وَالْهَاءَ تَبْكِي أَخَاهَا * * عَشِيَّةَ رُزْئِهِ أَوْ غِيبَ أُمْسِ
وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ * * أَعِزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالنَّاسِ (١)

٢/ الندب:

بكاء ونواح وعويل علي الميت بألفاظ مؤلمة حزينة تستمطر الدموع من
العيون، وكان النساء يجتمعن في مناحة صاخبة يصحب ذلك لطم الوجوه والصدور
بالأكف أو قطع الجلود أو النعال فقد نهى الإسلام عن ذلك وجاء في قول رسول الله
ﷺ (٢) (ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوة الجاهلية) (٣).

ومن الندب ما أشتهرت به الخنساء (٤) التي يروي أنها كانت تخرج إلي عكاظ
وتبكي وتتدب ندبا حارا أخويها معاوية وصخر المقتولين من أيام الجاهلية وشعرها
كله في رثاء أخويها علي شاكلة قولها في ندب أخيها صخر:
يَا عَيْنِ جُودِي بِدَمْعٍ مِنْكَ تَهْمَالِ * * وَعَبْرَةٌ بِنَحِيْبٍ بَعْدَ إِعْوَالِ

(١) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص ٣١٤، ديوان الخنساء، ص ٨٤-٨٥

(٢) عن مسروق عن عبد الله عن النبي صلي الله عليه وسلم قال الترمذي هذا حديث صحيح حسن من حديث عبد الله أخرجه الترمذي
في سننه كتاب الجنائز، باب ما جاء في نهى عن ضرب الخدود وشق الجيوب عند المصيبة ج ٣/٣٢٤/٣ دار إحياء التراث العربي،
بيروت - لبنان.

(٣) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص ٣١١

(٤) الخنساء: هي بنت عمر بن الحارث بن الرشيد بن رباح بن يقظة بن عصية ابن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن
منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر واسمها تماضر والخنساء لقلب غلب عليها فقد خطبها دريد بن الصمة
فردته، معظم شعرها رثاء في مقتل أخيها صخر قتله زيد بن نور الأسدي يوم ذي الأثل.

لا تَسَامِي أن تَجُودِي غَيْرَ خَاذِلَةٍ * * فَيَضاً كَفَيْضِ غُرُوبِ ذَاتِ أَوْشَالِ
وَأَبْكِي لِصَخْرِ طِوَالِ الدَّهْرِ وَأَنْتَحِبِي * * حَتَّى تَحُلِّي ضَرِيحاً بَيْنَ أَجْبَالِ
يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَي صَخْرٍ وَقَدْ لَهَفْتَ * * نَفْسِي إِذَا أَلْتَفَّ أَبْطَالُ بِأَبْطَالِ^(١)

٣/ التَّابِينَ :

يتخذ شكل الثناء الميت أو قد يكون ذلك عن زارتهم للقبور أو اجتماعاتهم في مجلس يعقد لذكري الفقيد، وكثيرا ما يتحلون الميت جميع الفضائل والمثل العليا، الخنساء نجدها تبكي في أخيها كل المثل العليا والفضائل ومن شواهد التابين قول أوس بن حجر في رثاء بن كلدة الأسدي:
أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعَا * * إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا
إِنَّ الَّذِي جَمَعَ السَّمَاحَةَ وَالنَّجْدَةَ * * وَالْحَزْمَ وَالْفُؤَى جُمِعَا^(٢)

وقد كان الرجل في الجاهلية يأتي أفعالا تشبه ما تأتيه المرأة من أفعال الجزع والهلع من ذلك أنه كان يعقر الإبل علي قبر من يحب إكراما له وتحية لمثواه^(٣) وكان ممن عقرت الإبل علي قبره، ربيعة بن مكرم^(٤)، وقال الشاعر الذي عقر ناقته علي قبر النجاشي^(٥)
عقرت علي قبر النجاشي ناقتي * * بأبيض غضب أخلصته صاقلة^(٦)

(١) المفيد الغالي للأدب الجاهلي، ص ٧٤، ديوان الخنساء، ص ١٥٩

(٢) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص ٣١٣ - ٣١٤، ديوان أوس بن حجر ص ٥٣

(٣) العقد الفريد ج ١/ ص ١١٦

(٤) ربيعة بن مكرم بن عامر بن حرثان من بني كنانة، أحد فرسان مصر المعدودين في الجاهلية، له أخبار أشرفها حمايته الظعن بعد مقتله، ولا يعلم قتيلا حمي الظعن توفي نحو ٦٢٢ ق.هـ.

(٥) النجاشي : وأسمه أصحمة ملك الحبشة، معدود في لصحابة وكان من حسن إسلامه ولم يهاجر ، ولا له رؤية، فهو تابعي من وجه، صاحب من وجه، وقد توفي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فعلى عليه بالناس صلاة علي غائب سواه، وأصحمة بالعربي معناها عطية، توفي سنة ٩ هـ. (أنظر سير أعلام النبلاء، للذهبي، أشرف علي تحقيق الكتاب شعيب الارناؤوط، حقق هذا الجزء حسين الأسد، ط ٧، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٠، ج ١، ص ٤٨٢

(٦) الكامل ج ٣/ ص ١٢٥٠

وقد لاحظوا في قصائد الرثاء إنها قلما تبدأ بالغزل، بل يشينها إن تبدأ به، فمواضع الحزن لا يليق بها التفكير بالمرأة والتشبيب بها، يقول ابن رشيق: (وليس من عادة الشعراء أن يقدموا قبل الرثاء نسيبا كما يصنعون ذلك في المدح والهجاء، وقال ابن الكلبي - وكان علامة - لا أعلم مرثية أولها نسيب إلا قصيدة دريد بن الصمة
أرثَ جَدِيدُ الحَبْلِ مِنْ أُمَّ مَعْبَدٍ * * بِعَاقِبِهِ وَأَخْلَفَتْ كُلَّ مَوْعِدٍ^(١)

وكثيرا ما يكون حديث الشاعر مع المرأة في القصيدة وسيلة إلى ذكر الميت، وأنه لا يعنيه فراقها وصرمها، فقد شغله أمر مفعج وخطب شديد، كما فعل متمم بن نويرة^(٢)، الذي لا يبالي بفراق حبيبته، بل قد سعي إلى ذلك الفراق، يقول:
صَرَمَتْ زُنَيْبَةُ حَبْلَ مَنْ لَا يَنْقَطِعُ * * حَبْلَ الخَلِيلِ ولِلأَمَانَةِ تَفَجَّعُ^(٣)

والرثاء حزن وبكاء ولوعة وتفجع، ولذلك كان طبيعيا أن يكثر في هذا الشعر الحديث عن العين والدموع وغزارتها وحرقة العين وإبائها الغمض والنوم، فتمتم بن نويرة يصور غزارة دموعه بأن عينيه كأنهما دلو ممزق تجري مياهه فتروي الديار والزرورع^(٤)، وهذه الصورة

- صورة القرية الممزقة - ترد في شعر أبي ذؤيب الهذلي^(٥) والخنساء^(٦)، ويقول عدي بن زيد العبادي^(٧) في رثاء نفسه:
ومالي نصر إلا نساء * * أرامِلُ قَد هَلَكْنَ مِنَ النَّحِيبِ
يحدرنُ الدموعَ علي عدي * * كشنَّ خانَّهُ حَرُّ الرِّيبِ^(٨)

(١) العمدة ج ٢/ص ١٥١ والشعر في الأصمعيات ص ١٠٦-١٠٨
(٢) متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي، التيمي، أبو نهشل، صحابي، شاعر، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم علي صدقة بن يربوع، لم يختلف في إسلامه، وكان شاعرا محسنا ليس لأحد في المراثي كأشعاره التي يرثي بها أخاه مالكا، قال الزركلي: سكن المدينة في أيام عمر. توفي نحو ٣٠هـ. (الاستيعاب، لابن عبد البر، ج ٤/ص ١٨، والأعلام، للزركلي)
(٣) المفضليات ص ٤٨-٤٩ وشعر مالك ومتمم ص ٩٣
(٤) المفضليات ص ٢٧١ وشعر مالك ومتمم ص ١٠٢
(٥) أبو ذؤيب الهذلي هو خويلد بن خالد الهذلي، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، سكن المدينة، من آثاره ديوان شعر، توفي نحو ٢٧هـ. (أنظر معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج ١/ص ٦٩٢)
(٦) ديوان الخنساء ص ٢٥
(٧) عدي بن زيد بن حماد العبادي التيمي، شاعر من أهل الحيرة، أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، سكن المدائن، ولما مات كسرى أنشوروان ولي ابنه هرمز. تزوج هند بنت النعمان بن المنذر، ووشى به أعداء له إلي النعمان، فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة ٣٥هـ. من آثاره ديوان شعر. (الأعلام، للزركلي، ج ٤/ص ٢٢٠)

المبحث الخامس

الهجاء

الهجاء: الهجاء مصدر الناقص هَجَأَ يَهْجُو هَجْؤاً وَهَجَاءً وَتَهْجَاءً فلانا أو عدد معايبه ووقع فيه وشتمه، فالهجاء إذن عكس المدح. معناه: التشهير بالردائل وفضح معايب الفرد والجماعة ويعد من الأغراض الرئيسية في الشعر الجاهلي^(١) الهجاء هو كل ما كنت فيه فأنقطع عنك^(٢).

كان الهجاء علي عكس الفخر، يعددون فيه ما في تاريخهم من مأخذ وماحل بهم من خسائر أو عار، ويرمونهم بأقيم العادات، وندمهم الصفات، وقد كان الهجاء يوجه إلي الأعداء في معرض الفخر، أو في ثنانيا المدح، لأن في تحقير الأعداء والحط من شأنهم رفعة للمفتخر أو الممدوح^(٣)

ودار هجاؤهم علي كل ما ينقص مُثَلِّهم التي صورناها في غير هذا الموضوع، وقد قلنا إنه كانت تجمعها كلمة المروءة وهي عندهم فضائل من الشجاعة والكرم وحماية الجار والوفاء والنجدة وطلب الثأر وما هي إلا أن يدخل الشاعر في الهجاء فإذا هو يخلص القبيلة وإشرافها من كل هذه الفضائل وما يتصل بها فهي لا تكرم الجار ولا تحميه، وهي تفتر من الحروب وتعجز عن الأخذ بثأرها ولا يكتفي الشعراء الهجاءون بذلك بل يتعرضون لمخازي القبيلة في حروبها وأيامها التي ولت علي أدبارها فيها منهزمة منكسة الأعلام كذلك الهجاء كان نزعا لتلك الصفات^(٤) الحميدة عندهم عن المهجو ووصفه بأضدادها، وكان الجاهلي يهجو بالعيوب النفسية الخلقية ولم يهتم بالعيوب الجسمية الخلقية.

والهجاء بدوره كان فرقتين أيضا: هجاء قبليا، وهو الأشهر والأكثر، ثم هجاء شخصا في الأقل.

(١) ديوان عدي ص ٤٠

(٢) المفيد الغلي في الأدب الجاهلي، ص ٨٢

(٣) لسان العرب، لابن منظور، مادة هجيس ج ٥/ص ٢٨

(٤) في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، ص ٣٧٣ دار الفكر العربي، القاهرة

(٥) تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ج ١٠ ص ٨٣

وإن الحياة القبلية كانت تستبح أن يكون الهجاء - أو العداوة التي تقتضي الهجاء قبليا - ولكن لم يكن ثمة من مفر من أن يخاطب الشاعر القبيلة المهجوة بالتوجه بالكلام إلي شاعرها ألم يكن الشاعر هو الرافع لشأن القبيلة وممثلها^(١) كان قبلي النزعة في الجاهلية ثم اتجه اتجاهها فرديا وبات مع الخطيئة أداة للتكسب ولعل هذا الشاعر أشهر هجائي العرب في الجاهلية والإسلام^(٢)

فقد كان الهجاء تعبيراً عن عاطفة السخط والغضب تجاه شخص تبغضه أو جماعة تنتقم منها.

والهاجي ينفس بأهاجيه عما يلح في صدره من ضغائن وأحقاد، لذلك كان سلاحاً من أسلحة القتال، يضعف الشاعرية معنوية خصومه ويرتبط بالوعيد والانتقاص من أقدار الخصوم والبحث عن معائبهم.

والهجاء طبيعة في النفس الإنسانية، جاء نتيجة تفاوت الناس في حظوظهم من الذوق والجمال والجاه والسلطان، والمنافسة عادة هي التي تدفع الناس إلي الهجاء والتعبير عن شعورهم بالسخط تجاه الخصوم، وقد كان الهجاء قديماً أثراً من آثار حب الانتقام والتشفي والتأثر^(٣)

وقد كان هم الشعراء الانتقاص من خصومهم كما ذكرنا واضحاك الناس منهم ولذلك كان جرير من أعلام الهجاء^(٤) وقد عزا العرب القدامى الأثر الذي يتركه الهجاء في النفوس إلي فعل السحر، للرهبنة التي يتركها الهجاء والسحر في النفوس^(٥) وكان خوفهم من الهجاء وأثره في نفوسهم أنهم إذا هجأهم شاعر بسوءة فإنهم يتوارون منها خجلاً، لأنها تلازمهم وتلصق بسمعتهم، وكان إشراف الناس ووجوه القوم وذو المكانة فيهم من القادة والرؤساء هم أشد الناس خوفاً من الهجاء ولذلك يتصدى شعراء الهجاء لذوي الشرف والمكانة من الناس^(٦) كانت العرب تبكي

(١) تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ج ١٠ ص ٨٣

(٢) الجاهلية فن وأدب وتاريخ، ص ٧٦، جورج غريب، سلسلة الموسوعة، الأدب العربي، دار الثقافة، بيروت - لبنان

(٣) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص ٣٣٩

(٤) المرجع السابق، ص ٢٤٠

(٥) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص ٣٤٢

(٦) المرجع السابق، ص ٣٤٧

بالدموع الغزار من وقع الهجاء وتفضل طعن القنا علي بأيدي وعلي هذا كان الهجاء في يد كالسيف القاطع لا يقل أهمية عن الأسلحة القتالية المعهودة وضرباته أشد وقعا ونيلا من معنويات العدو للخطيئة هجا ساخر لم يسلم منه أحد. وقد تضافرت أسباب كثيرة في مجيئه إليه وأهمها تقلب أحواله وميله إلي مخالفة الناس في كل شكل واستنزاقه بالشعر وهجاؤه المبتوث في ديوانه ينقسم إلي قسمين قسم تكسب به وتشفي فيه من أعدائه وعلي رأسهم الزبيرقان^(١)، وقسم عبّر عن نقمته واستخفافه بأهله وقومه.

فمن الأشعار التي هجا بها الزبيرقان قوله:

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبِغْيَتِهَا * * وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

(١) الزبيرقان بن بدر التميمي، يكنى أبا عياش، وفد علي رسول الله صلى الله عليه وسلم في قومه في سنة ٩هـ، فولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقات قومه، توفي نحو ٤٥هـ. (أنظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر القرطبي، تحقيق الشيخ علي محمد معوض، ط١، بيروت، دار لكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ج٢ ص١٢٩، والأعلام، للزركلي، ج٣/ص٤١)

المبحث السادس

الحكمة

الحكمة جمعها حكم مصدر الفعل الثلاثي حكم يحكم المرء إذا صار حكيماً عليماً بالأمر وهي تصدر إما عن تأمل وتفكير، إما عن اختيار للحياة والدنيا كما هو الشأن في الجاهليين^(١).

والحكمة هي المواعظ والأمثال التي ينتفع الناس بها^(٢)

ويقصد بالحكمة القصد والصواب وإصابة الهدف ووضع الأشياء في موضعها والاعتدال في الرأي والبعد بالعواقب، والالتزام في السلوك والحكيم من الناس الذي تكامل عقله، ونضج تفكيره، وتم رشده، ثقل ميزانه وبعد نظرة فلا تنزلق به رجلاه.

الحكمة علي هذا كلمة جامعة تتناول الصواب والصدق والقصد والاعتدال وحسن الدخول في الأمر والخروج وفي القاموس الحكمة العدل والعلم والحلم والنبوة والقرآن وأحكامه وأتقنه ومنعه من الفساد إلا أن الأدباء يقصدون بالحكمة القول الرائع الذي يصيب به صاحبه كبد الحقيقة، بعبارة موجزة قد اكتسبت من البلاغة ثوباً جميلاً وصادفت من القول رغبة حارة من الذبوع ما تصادفه شمس النهار بنورها الساطع، والحكمة علي العموم صورة من صور العقلية الأدمية في رقيها وتقدمها وحضارتها وفلسفتها في الحياة وفهمها للأشياء، أما الأخلاق فهي صورة من صور الحكمة، يقصد بها الإرشاد والتّهذيب والنّصح^(٣).

والحكمة عند شعراء الجاهلية آراء يوجب بها التأمل والتفكير وأشهر من عالجها زهير بن أبي سلمى ولييد بن ربيعة وطرفة بن العبد وأمّية ابن أبي الصلت وآخرون^(٤).

وقد شاعت الحكمة في أشعارهم وهي حكمة أدركوها من تجاربهم الطويلة، لا أثر فيها لفلسفة ولا نسب يصلها بثقافة ولا شك في ذلك، لأننا لا نعرف من هؤلاء

(١) المفيد الغالي للأدب الجاهلي، ص ٩٠

(٢) لسان العرب لابن منظور فاص الحاء المهملة، مادة حكم ج ١٢ ص ١٤١

(٣) بحوث في الأدب الجاهلي، ص ٦٩-٧١ إبراهيم أبو الخشب أحمد وعبد المنعم البيهبي ط ١، ١٩٦١ م

(٤) الجاهلية تاريخ وأذن وفن، ص ٧٦ جورج غريب، سلسلة الموسوعة في الأدب العربي، دار الثقافة بيروت

الذين جرت الحكمة علي ألسنتهم رجلا جلس إلي معلم، وأخذ علمه عن كتاب ولذلك جاءت حكمتهم فطرية، وسجلت ما رأوه بأعينهم من تصرفات الحياة إلي دار أخرى واستهانة المجتمع الجاهلي بمن لا يدافع عن نفسه وحماية المعروف وأشياء كثيرة كهذه المعاني، كل ذلك كان من تجاربهم^(١).

ولا أزعج أنها فلسفة ذات أصول أو تفكير منظم وفق علم مدرّس بل هي الإحساس الذاتي والتأثير أقرب منها إلي التفكير العلمي، فهي نظرات وانطباعات وتأمل في الحياة والموت، ومجالات لسنن ونظم خلقية يتبعها الناس فيما يرضونه من خصال وسلوك، أو ما ينكرونه من أفعال وعادات، ولذلك جاءت حكمتهم حقائق مجردة في تناول الفطرة السليمة تمليها التجربة والمشاهدة وفق مثلهم العليا السائدة في عصرهم، وكانت أفكارهم صدى لهذه التأمّلات والمشاهدات، تصاغ في بيت شعر أو مثل أو عبارة أنيقة موجزة غزيرة المعني ذات دلالات بعيدة تقع من النفس موقعها الأثير، فيقبل عليها السامعون ويرونها ويحفظونها، وتغدو أمثالا تجري علي الألسنة علي مر العصور، وقد وجدوا لها في أنفسهم أصداء.

قد عرفت الحياة الجاهلية كثيرا من الحكماء ذاع صيتهم وعرفت حكمتهم مثل قس بن ساعدة^(٢) وقصي بن كليب^(٣)، لقمان بن عاد^(٤) وآخرون^(٥).

وقد أشتملت معلقة طرفة علي فلسفة في الوجود الداعية إلي التمتع باللذات والحياة قبل فناء الجسم بالموت المحتوم وفوات الأوان يقول الشاعر فيها:
ألا أَيَهَذَا اللَّائِمِي أَحْضَرَ الْوَعْيِي * * * وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدي
فإن كُنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي * * * فَدَعْنِي أَبَادِهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

(١) التاريخ الأدبي للعصرين الجاهلي والإسلامي، الأول ص ٥٤

(٢) قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، من بني إيباد، كان أسقف نجران، أول عربي خطب متوكنا عل سيف أو عصا، أول من قال في كلامه: أما بعد، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة، ورآه في عكاظ، وتقي نحو ٢٣ هـ. (أنظر الأعلام، للزركلي، ١٩٦/٥)

(٣) قصي بن كلاب بن مرة كعب بن لؤي، سيد قريش في عصره، هو أول من كان له ملك من بني كنانة، وهو الأب الخامس في سلسلة النسب النبوي، مات أبوه وهو طفل، كانت له الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء مات بمكة. (أنظر الأعلام للزركلي، ج ٥/ص ١٩٨)

(٤) لقمان بن عاد بن ملطاط من بني وائل، من حمير، معمر جاهلي قديم، من ملوك حمير في اليمن، يلقب بالرائش الأكبر، وهو غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن، (أنظر الأعلام للزركلي، ٣٤٣/٥)

(٥)

أرِي المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ وَيَصْطَفِي * * عَقِيلَةَ مالِ الفَاحِشِ المُتَشَدِّدِ
أرِي العَيْشَ كَنْزاً نَاقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ * * وَمَا تَنْفُصِ الأَيَّامُ وَالذَّهْرُ يَنْفَدُ
لَعَمْرُكَ إِنَّ المَوْتَ مَا أَخْطَأَ الفَتِي * * لَكَالطَوِيلِ المُرْخِي وَثَنِيَاهُ بِالْيَدِ
وَوَظَلُّمِ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةَ * * عَلِي المَرءِ مِنْ وَقَعِ الحُسَامِ المُهَنْدِ
سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً * * وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ^(١)

تكثر الحكمة عند علقمة^(٢) قوله فيما تطلبه المرأة من الرجل لتمنحه ودها
وتصد عنه إذا ما شاب أو قل المال في يده:
فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي * * بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَيِّبُ
إِذَا شَابَ رَأْسُ المَرءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ * * فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وُدِّهِنَّ نَصِيبُ
يُردن ثراءَ المالِ حيثُ عَلِمَنَّهُ * * وَشَرُحُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ^(٣)(٤)

تلك هي الموضوعات الأساسية التي تنظم منه القصيدة الجاهلية فالشاعر
يبدوها بالأطلال والديار ويصف أثناء ذلك حبه، ثم يصف رحلته في الصحراء، وهي
أول ما يقدمه للمرأة من ضروب جرأتها، حينئذ يصف نافتها أو فرسه، وقد يؤخرها إلي
نهاية القصيدة ويقدم عليها غرضه ناثرا حكمه وتجاريه.

(١) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ص ٩٢ ديوان طرافة بن العبد، ص ٢٧-٤٤

(٢) علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس، من بني تميم، شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، كان معاصراً لأمرئ القيس، وله معه
مساجلات، أسر الحارث بن أبي شمر الغساني، أخت له أمه شاس فشعب به علقمة ومدح بأبيات فأطلقه، له ديوان شعر شرحه الأعلام
الشنتمري، توفي نحو ٢٠ ق.هـ (أنظر الأعلام، للزركلي، ج ٤/ص ٢٤٧)

(٣) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ص ٩٢ ديوان طرفة بن العبد ٢٧-٤٤

(٤) هو علقمة بن عبدة بفتح الباء، بن النعمان بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة الجوع بن مالك بن زيد مناه بن تميم بن مر بن
أدين طانجة بن الياس بن مضر، شاعر جاهلي مجيد، كان من صور الجاهلية وفحولها، له ثلاث رواع جياذ لا يفوقهن شعر.

ملخص البحث

نلخص من كل ما جاء في هذا البحث إلي نتائج ودلالات تعبر عن بعض القضايا الهامة في بنية القصيدة وما يتعلق بها، أولي هذه الدلالات هي أن الشعر الجاهلي وليد بيئته، وهو صورة صادقة لحياة الجاهلية من حيث المجتمع والعادات والتراث أن البيئة كانت الباعث علي ما تجده من كثرة التابع بين بكاء الأطلال والغزل والوصف والأغراض الأخرى لأن الصحراء هي التي أوحى للشاعر بأسلوب القصيدة وموضوعاتها المختلفة فهو يمر علي ديار الأحبة بعد رحيلهم، فتذكره أيام أنسه وتهيج أثارها شعوره فيبكي علي الأطلال ثم يمضي في رحلته معتمدا علي ناقتة فيصفها في خبرة وإعجاب ثم يشبهها بحيوان آخر فيستغرق في وصفه ويتخيل لبعض الدارسين أن هذا الاستغراق شرود وانقطاع عن الفكرة الأولى والحق أنه ليس كذلك، إنما هو ضرب من الافتتان في الوصف وهو أقرب أجزاء القصيدة إلي الذلوق العربي.

دلالة أخرى يمكن أن نخلص إليها أن القصيدة طيبة للتعبير عن كل الأغراض بدءا بالبكاء علي الأطلال ذلك الغرض الذي صار موضوعا تقليديا، لا غني عنه في استفتاح القصائد مطية للتدرج إلي الموضوعات الأخرى. وقيمة القصيدة الجاهلية واضحة في الأغراض التي تناولتها والخصائص الفنية التي امتازت بها، ومن الحقائق التي توصلت إليها من أظهر مظاهر المحافظة في القصيدة العربية، الافتتاحية الغزلية بصورها المختلفة، منها أيضا وصف الرحيل والغزل، وقد لزم ذلك القصيدة العربية أحد عهودها.

ليست أدل علي قيمة القصيدة الجاهلية الفنية من أن كل القصائد التي أتت من بعدها مديحا لها في كثير من خصائصها، فشعراء صدر الإسلام احتذوا علي حذوها نموذجا لهم وتبعهم سائر الشعراء إلي غاية عصر النهضة ينسجون علي منوالها ولا يجدون فيها إلا القليل وبذلك ظل كل القصيدة القديمة أو النمطية سائدا مستعملا إلي يومنا هذا لا تزال القصائد الجاهلية تتردد علي الألسنة وتحفظها قلوب

الناشئة وتتأثر بها قرائح الشعراء ويستشهد بها في كل شاردة وواردة لأنها قصائد راقية
ذو قيمة فنية معتبرة أهلتها للخلود وأكسبتها إعجاب الأجيال اللاحقة.
ختاماً أستطيع أن أقول أنني في هذه الخاتمة أردت أن أتعرض لبعض
الدلالات الهامة التي أردت أن أختتم بها هذه الدراسة أتمني أن يكون هذا البحث
سهل يقنع القارئ تناول الجوانب الهامة التي تحتاج للشرح والتفسير والإقناع وأسأل
الله التوفيق والسداد.

النتائج

وقد توصلت الباحثة من خلال هذه الدراسة إلي النتائج التالية:

١. الفرض الأول:

القصيدة الجاهلية تناولت الغزل الحسي بصورة واضحة من خلال القصائد الغزلية، من خلال البحث توصلت إلي أن الغزل الجاهلي تعبير عن عاطفة أصيلة في الإنسان فقد تغزل الجاهلي بالمرأة وكان غزله صريحا فقد كان مغرما بالصفات الجسدية البارزة في المرأة.

٢. الفرض الثاني:

القصيدة الجاهلية في بنيتها اللغوية اتخذت كثيرا من المفردات التي انقرضت مع مر العصور لتحل محلها كلمات أخرى.

من خلال الدراسة توصلت الباحثة إلي أن اللغة التي كتبت بها القصائد الجاهلية توجد بها كلمات غير واضحة، لأنها اندثرت مع مرور العصور وحلت محلها كلمات أخرى خاصة بأسماء المواضع ومحل نزول الحبيبة وغيرها.

٣. الفرض الثالث:

القصيدة الجاهلية مرآة العصر الجاهلي لما تناولته من حياة المجتمع الجاهلي القائم علي البداوة والحرب والمرأة.

ولقد توصلت الباحثة من خلال الدراسة إلي أن البادية بيئة الشعر الجاهلي ولذلك كل الشعر مرآة للحياة البدوية يدور حول الطلل والفرس والحرب والقبيلة والخمر والنساء - أن فحول الشعراء كلهم من أهل سكان الخيام البدو، كما أن خصائص الشعر الجاهلي تدور حول البادية وما فيها إلا القليل من ألوان الحضر.

إن الحياة البدوية الفطرية والقدم في الزمن عوامل تضافرت علي جعل الشخصية الإنسانية ساذجة بسيطة كذلك البيئة الجاهلية وكذلك كان أثرها في الشعر الجاهلي كما أن حياتهم التي تقوم علي الغارات والحرب لها أثرها في الشعر.

٤. الفرض الرابع:

الشعر الجاهلي محل إعزاز وتقدير القبيلة لأنه الناطق بلسانها والمادح لها والمجسد لقيمتها ولقد توصلت الباحثة أيضا إلي أن الحياة الجاهلية كانت تقوم علي نظام القبيلة وأن لكل قبيلة شاعر ينطق باسمها ويمدح مآثرها ويفتخر بها لأن الحياة كانت تعتمد علي العصبية القبلية وقد كانوا يهنتون بالشاعر النابغ ويذبحون له الذبائح وهو فخر بالنسبة لهم.

٥. الفرض الخامس:

الناقة في الشعر الجاهلي توازن المرأة في القصيدة الجاهلية ولقد توصلت الباحثة أيضا إلي الناقة هي مصدر غذاء العربي، وكسائه وسكنه ووصفا الراحلة التي يمتطيها للوصول إلي دار الحبيبة فقد أحبها ووصفها وصفا مسهبا.

٦. الفرض السادس

أغراض الشعر الجاهلي أساسياته تتبني بعد تناول موضوعات لا علاقة لها بغرض القصيدة مثل البكاء علي الأطلال والغزل والوصف وغيرها. لقد توصلت الباحثة من الدراسة إلي أغراض الجاهلي تخضع في كل عصر للأحداث البارزة فيه ذلك أن الشعر تعبير عن خوالج النفوس، وتصوير لمظاهر البيئة، وصورة صادقة من الحياة فهذه الأغراض تعبر عن ما يجده في حياة العصر من شئون تحمل الشعراء من حيث يعبرون عنها، علي أن يكونوا صادقين في تصوير الحياة العربية في العصر الجاهلي تطلبت القول في ألوان معينة من فنون الشعر الجاهلي واستيعاب الشعراء الجاهليون لبيئتهم لذا كانوا يبدأون القصيدة بالأطلال والغزل ثم الوصف فصدقوا التعبير عنها فلم يجمع بهم الخيال أو يعبت بهم تقليد أمة من الأمم فيقولوا فيما لا يجدون صداء في نفوسهم وفي بيئتهم، كذلك لم يقصروا في التعبير عن شيء وقع تحت حسهم أو أثر في نفوسهم فجاءت أغراضهم الشعرية صدى لحياتهم.

التوصيات

- في ضوء نتائج هذه الدراسة يمكن الخروج بالتوصيات التالية:
١. دراسة الشعر الجاهلي دراسة وافية من خلال الشعر والكلمة.
 ٢. استخدام البرمجة الحديثة لاستيعاب لغة الشعر الجاهلي.
 ٣. ضرورة الاستفادة من الشعر الجاهلي في تقوية اللغة العربية.
 ٤. مرت اللغة العربية بعصور مختلفة ، الكلمة في قصيدة ليست هي الكلمة الآن ماتت كلمات وتولدت كلمات أخرى حسب حاجة العصر، ضرورة دراسة متكاملة للكلمة العربية لمعرفة الشعر الجاهلي وتدوقه من خلال الدراسة.

الفهارس العامة

وتحتوي علي:

- ١ . فهرس الأشعار
- ٢ . فهرس الأعلام
- ٣ . فهرس المصادر والمراجع
- ٤ . فهرس المحتويات

فهرس الأشعار

| الصفحة | القائل | البيت |
|---------------|---------------------|--|
| قافية الهمزة | | |
| ٣٠ | الحارث بن حلزة | * رَبُّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ |
| ٣٠ | | * فَأَدْنَى دِيَارِهَا الْخَلَصَاءُ |
| قافية الباء : | | |
| ١٧ | النابغة | * وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيٍّ الْكَوَاكِبِ |
| ٩٠ | الأخفش | * وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهَوَّ سَارِبُ |
| ٩٩ | النابغة الذبياني | * وَتِلْكَ الَّتِي أَهْتَمُّ مِنْهَا وَأَنْصَبُ |
| ٦٩ | النابغة الجعدي | * مِنْ حَشَبِ الْجَوْرِ لَمْ يُتَقَبِ |
| ٨٢ | امرؤ القيس | * كَانُوا عَيْدًا وَكُنَّا نَحْنُ أَرْيَابًا |
| ١٠٥ | عدي بن زيد | * أَرَامِلُ قَدْ هَلَكْنَ مِنَ النَّحِيبِ |
| ١٠٥ | | * كَشَنَّ خَائَهُ خَرَزُ الرَّيِّبِ |
| ١٩ | أبو تمام | * فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعْبِ |
| ٩٩ | النابغة الذبياني | * وَتِلْكَ الَّتِي أَهْتَمُّ مِنْهَا وَأَنْصَبُ |
| ١٧ | النابغة الذبياني | * وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيٍّ الْكَوَاكِبِ |

| قافية الباء | | | |
|---------------|---------------------|--|---|
| ٤٦ | ليبيد بن ربيعة | * لِتَخُونِ عَهْدِي وَالْمَخَانَةَ ذَامٌ | تِلْكَ ابْنَةُ السَّعْدِيِّ تَشْتَكِي |
| ٢٨ | الشنفري | * لِحَارَتِهَا إِذَا الْهَدْيَةُ قَالَتْ | تَبَيَّتْ بُعِيدَ النَّوْمِ تُهْدِي غَبَوْقَهَا |
| ٣٩ | النابعة الذبياني | * بأولي الظعن في عيلة أموت | فلا يا بعد لاي الحقني |
| قافية التاء : | | | |
| ١٠٢ | النابعة الذبياني | * وَكَيْفَ بِحِصْنٍ وَالْجِبَالِ جُمُوحٌ | يَقُولُونَ حِصْنٌ ثُمَّ تَأْبِي نُفُوسُهُمْ |
| قافية الدال : | | | |
| ٦٣ | | * بِعِجَاءِ مِرْقَالِ تَرُوحٌ وَتَعْتَدِي | وَإِنِّي لِأَمْضِي الْهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ |
| ٦٣ | طرفة | * عَلِي لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرٌ بُرْجِدٌ | أُمُونَ كَأَلْوَابِ الْأَرَانِ نَصَاتُهَا |
| ٦٣ | | * كَسِبَتْ الْيَمَانِي قَدَّهُ لَمْ يُجَرِّدِ | وَخَدُّ كَقِرْطَاسِ الشَّامِيِّ وَمِشْفَرٌ |
| ٩٦ | النابعة الذبياني | * فَضلاً عَلِي النَّاسِ فِي الْأَدْنَى وَفِي الْبَعْدِ | فَتِلْكَ تُبْلِغُنِي الْعُمَانَ إِنْ لَأَهُ |
| ١٠٥ | دريد بن الصمة | * بِعَاقِبِهِ وَأَخْفَتِ كُلَّ مَوْعِدِ | أَرْتَّ جَدِيدُ الْحَبْلِ مِنْ أُمَّ مَعْبِدِ |
| ٨٧ | طرفة | * خَشَّاشُ كَرَّاسِ الْحَيَّةِ الْمُتَوَقِّدِ | أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ |
| ١١١ | طرفة | * وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدي | أَلَا أَيُّهَذَا اللَّائِمِي أَحْضَرَ الْوَعْيِ |
| ٢٩ | المرقش الأكبر | * فَأَرْقَنِي وَأَصْحَابِي هُجُودٌ | سَرَى لَيْلًا خِيَالٌ مِنْ سُلَيْمِي |
| ٦ | طرفة | * تَلُوحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ | لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ بِبُرْقِهِ تَهَمَدِ |

| | | | | |
|-------------|--------------------|---|---|---|
| ٩٥ | المتنبي | بِشْعَرِي أَتَاكَ الْمَادِحُونَ مُرَدِّدَا | * | أَجْزَنِي إِذَا أُنْشِدْتَ شِعْرًا فَإِنَّمَا |
| ٨٨ | يزيد بن الحكم | بِيضَاءَ تَخْفِقُ كَالْعُقَابِ الطَّائِرِ | * | وَأَبِي الَّذِي سَلَبَ ابْنَ كِسْرَى رَأْيَةً |
| ٦٧ | عنتره | وَرَاءَ الْحَايِيِّ يَتَّبِعُهَا الْمِهَارُ | * | مُقَرَّبَةً الشِّتَاءِ وَلَا تَرَاهَا |
| ٦٧ | عنتره | وَنَيْبٌ مِّنْ كَرَائِمِهَا غِزَارُ | * | لَهَا بِالصَّيْفِ أَصْبِرَةٌ وَجِلُّ |
| ٧٩ | الحارث الجرمي | عَلِمْتُ بِأَنَّ الْيَوْمَ أَحْمَسُ فَاجِرُ | * | وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَنْتَرِي أَثَائِجًا |
| ٨٩ | الاصم بن الحجاج | بَلِي نَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِالْمَجْدِ وَالْفَخْرِ | * | أَلَمْ يَسْنِ لِلْأَحْيَاءِ أَنْ يَعْرِفُوا لَنَا |
| ٩٧ | الخطيئة | حُمِرِ الْحَوَاصِلِ لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرُ | * | مَاذَا تَقُولُ لِإِفْرَاحِ بِنْدِي مَرِحٍ |
| ٨٩ | جرير | وَكِسْرَى وَآلَ الْهُرْمُزَانَ وَقِيَصَرَ | * | إِذَا افْتَحَرُوا عَدَاوَةَ الصَّابِغَةِ مِنْهُمْ |
| ٥٢ | النابغة الجعدي | أَخُو قَنْصٍ يُمْسِي وَيُصْبِحُ مَفُطْرًا | * | فَبَاتَ يَذْكُرِيهِ بِغَيْرِ حَدِيدَةٍ |
| ٥٢ | النابغة الجعدي | أَصَابَ مَكَانَ الْقَلْبِ مِنْهُ فَفَرَّقَرَا | * | إِذَا مَا رَأَى مِنْهُ كُرَاعًا تَحَرَّكَتْ |
| ٨٤ | امرؤ القيس | ذُمُولٍ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّرَا | * | فَدَعَا ذَا وَسَلَّ لَا هُمْ عَنْكَ بِجِسْرَةٍ |
| ٧٩ | بشر بن حازم | فَسَارُوا سَيْرَ هَارِبَةٍ فَعَارُوا | * | وَلَمْ نَهْلِكْ لِمُرَّةٍ إِذْ تَوَلَّوْا |
| ٧٩ | عوف بن عطيه | أَرَامِلَ شَتَّى وَرَجُلِي جِرَارَا | * | بِكُلِّ مَكَانٍ تَرَى مِنْهُمْ |
| قافية الزاء | | | | |
| ٨٦ | الخنساء | فَعُودِرَ قَلْبِي بِهِمْ مُسْتَفْزَرًا | * | وَأَفْنِي رِجَالِي فَبَادُوا مَعَا |

| قافية السين | | | |
|-------------|------------------|---|---|
| ١٠٨ | الخطيئة | وَأَقْعُدُ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكاسي | * دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبِ لُبِّ غَيْتِهَا |
| ٥ | عبد الله بن سلمة | فَبَيَاضُ رِيْطَةٍ غَيْرَ ذَاتِ أَنْيسِ | * لَمَنْ الدِّيَارُ بَتَوَلَّعِ فَيَبْسُوسِ |
| ٥ | الغامدي | كَالْوَشْمِ رُجَّعٍ فِي الْيَدِ الْمَنَكُوسِ | * أَمَسَتْ بِمَسْتَنَّ الرِّيَاحِ مُفِيْلَةً |
| ١٠٣ | الخنساء | عَلِي إِخْوَانِهِمْ لَقَاتَلَتْ نَفْسِي | * وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِيْنَ حَوْلِي |

| قافية العين | | | |
|-------------|---------------------|--|--|
| ٨ | النابغة الذبياني | دَعَائِمُ مِنْهَا قَائِمٌ وَمَتَدَع | * تَذَكَّرْنِي أَطْلَا هِنْدٌ مَعَ الْهُوَى |
| ٨ | | بِتَنْهِيهِ الرُّكَيْنِ وَشِي مَوْجِع | * عَلِي الْعَصْرِ الْخَالِي كَانَ رَسُومَهَا |
| ١٠٣ | أوس بن حجر | إِنَّ الَّذِي تَحَذَّرِينَ قَدْ وَقَعَا | * أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعَا |
| ٨ | النابغة الذبياني | لَيْسَتْ أَعْوَامٌ وَذَا الْعَامُ سَابِعٌ | * تَوَهَّمَتْ آيَاتٍ لَهَا فَعَرَفْتُهَا |
| ٤٤ | النابغة الذبياني | عَلِي النَّحْرِ مِنْهَا مُسْتَهْلٌ وَدَامِعٌ | * فَكَفَفْتُ مِنِّْي عَبْرَةً فَرَدَدْتُهَا |
| ٨٦ | عاتكة بنت عبدالمطلب | وَكَفَاكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ | * سَائِلٌ بِنَا فِي قَوْمِنَا |

| قافية الفاء | | | |
|-------------|----------------------|---|--|
| ٧٦ | ثعلبة بن عمرو العبدي | نَوَاجِدُهَا وَإِحْمَرَّ مِنْهَا الطَّوَائِفُ | * بِهِ أَشْهَدُ الْحَرْبَ الْعَوَانَ إِذَا بَدَّتْ |
| ٨٩ | عمرو التغلبي | إِذَا عُدَّ بَاقٍ مِنْ زَمَانٍ وَسَالِفُ | * رِبِيعَةُ أَبَائِي الْأَلِي اقْتَسَمُوا الْعَلِي |
| | | | قافية الفاء |

| | | | |
|-------------|----------------|---|--|
| ١٩ | المتنبي | وَجَوَى يَزِيدُ وَعَبْرَةٌ تَنْزِقُ | * أَرْقُ عَلِيَّ أَرْقٍ وَمَثَلِي يَأْرُقُ |
| ١٩ | | تَحَسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَاقِي | * أَتْرَاهُمَا لِكَثْرَةِ الْعُشَّاقِ |
| قافية الكاف | | | |
| ٨ | عبيد بن الأبرص | أَرَاكِيَةً تَدْعُو حَمَاماً أَوْرَاكَا | * وَقَفْتُ بِهَا أَبْكَى بُكَاءَ حَمَامَةٍ |
| ٢٨ | عنتر بن شداد | رُدِّي السَّلَامَ وَحَيِّ مَنْ حَيَّاكَ | * رِيحَ الْحِجَازِ بِحَقِّ مَنْ أَنْشَاكَ |
| قافية اللام | | | |
| ١٠٤ | الخنساء | وَعَبْرَةٌ بِنِ حَيْبٍ بَعْدَ إِعْوَالِ | * يَا عَيْنِ جُودِي بِدَمْعٍ مِنْكَ تَهْمَالِ |
| ٨ | امرؤ القيس | وَحَدَّثَ حَدِيثَ الرِّكْبِ إِنْ شِئْتَ وَأَصْدُقِ | * أَلَا أَنْعِمُ صَبَاحاً أَيُّهَا الرِّيعُ وَأَنْطِقِ |
| ٦ | | قَالِيلُ الْهُمُومِ مَا يَبِيْتُ بِأَوْجَالِ | * وَهَلْ يَعْزَمُنُ إِلَّا سَاعِدٌ مُخَلَّدُ |
| ٨ | | وَاسْتَعْجَمَتْ عَن مَنْطِقِ السَّائِلِ | * صُمِّ صَدَاها وَعَفَا رَسْمُها |
| ٣١ | الأعشي | وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرِّجْلُ | * وَدَعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرِّكْبَ مُرْتَجِلُ |
| ٣١ | الأعشي | تَمْشِي الْهُوَيْنَا كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَجْلُ | * غَرَاءَ فَرَعَاءِ مَصْقُولُ عَوَارِضُها |
| ٢٩ | امرؤ القيس | بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مُطْفَلِ | * تَصْدُ وَتَبْدِي عَن أَسِيلِ وَتَنْقِي |
| ٢٩ | | إِذَا هِيَ نَصَّتُهُ وَلَا بِمُ عَطَّلِ | * وَجِيدٌ كَجِيدِ الرِّئْمِ لَيْسَ بِفَاحِشِ |
| ٣٨ | امرؤ القيس | لَدَى سَمُرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ | * كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا |
| ٨٦ | زينب بنت فروة | وَلَا عِنْدَ قَيْسِي غَنِيمَةٌ قَافِلِ | * وَلَمْ يُرَ فِي أَفْنَاءِ مَرَّةٍ مِثْلُها |

| | | | | |
|-------------|---------------------|---|---|---|
| | | | | |
| ١٦ | أبي النجم العجلي | كأنها في الأفق عين الأحول | * | والشمس قد كادت ولما تفعل |
| ٨٦ | زينب بنت فروة | ولا عند قيسي غنيمة قافل | * | وَلَمْ يُرَ فِي أَفْنَاءِ مِرَّةٍ مِثْلَهَا |
| ١٦ | أبي النجم العجلي | كأنها في الأفق عين الأحول | * | والشمس قد كادت ولما تفعل |
| ٥ | امرو القيس | بِسِقْطِ اللّوِي بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوَمَلِ | * | قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل |
| ٧٧ | المزرد | وما كاد لأيا حب سلمى يزايل | * | صحا القلب عن سلمى وملّ العواذل |
| ٨٧ | النابغة الجعدي | مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَجْدُنَا كَانَ أَوْلَا | * | وما كان مجد في أناس علمته |
| ٧٨ | خراشة بن عمرو | صَبَحَنَ مَعَ الإِشْرَاقِ مَوْتاً مُعْجَلاً | * | وَجَمَعَ بَنِي غَنَمِ غَدَاةَ حُبَالَةٍ |
| ٧٨ | خراشة بن عمرو | رَقِيقِ الحَوَاشِي يَتَرُكُ الجُرْحَ انْجَلاً | * | بِكُلِّ سُرِجِي جَلَا القَيْنُ مَتْنَهُ |
| ٩٥ | زهير | وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ المَالَ نَائِلُهُ | * | أخي ثقة لا تئلف الخمر ماله |
| ٩٤ | زهير | عَلِي مُعْتَقِيهِ مَا تُغِبُّ قَوَاضِيَهُ | * | وَأَبِيضَ فَيَّاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ |
| ١٨ | حذيفة بن محسن | وَعَرِّي أفراسُ الصِّبَا وَرَوَاجِلُهُ | * | صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله |
| ١٩ | أبي العتاهية | أدلت فاحمل أدلاها | * | ألا ما لس يوف مالها |
| قافية الميم | | | | |
| ٧٥ | جابر التغليبي | إذا ما ازدرنا أو أسفّ لمأنم | * | وَكَائِنَ أَرزْنَا المَوْتَ مِن ذِي تَحِيَّةٍ |
| ٩ | المرقش الأكبر | رَقَشَ فِي ظَهْرِ الأَديمِ قَلَمٌ | * | الدَّارُ قَفَرٌ والرَّسْوَمُ كَمَا |

| | | | | |
|----|--------------------------|---|---|--|
| | | | | |
| ٩ | زهير | مَرَجِعُ وَشِمِّ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ * | وَدَارُ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا * | |
| ٩ | المرقش | مُقْفِرَةٌ مَا إِنْ بِهَا مِنْ إِرْمِ * | أَمْسَتْ خَلَاءً بَعْدَ سُكَّانِهَا * | |
| ٩ | الأكبر | كَالْفَارَسِيِّينَ مَشَوْا فِي الكُمَّ * | إِلَّا مِنَ الْعَيْنِ تَرَعِّي بِهَا * | |
| ٧ | المرقش الأكبر | إِلَّا الْأَثَافِيَّ وَمَبْنِي الْخِيَمِ * | هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ عَفَا رَسْمَهَا * | |
| ٧٧ | الحارث بن ظالم | وَلَمَّا تَصَبَّ ذَلَا وَانْفَكَ رَاغِمِ * | حَسَبْتَ أَبَا قَابُوسَ أَنْكَ سَالِمِ * | |
| ٩٤ | هرم بن سنان | عَفْوًا وَيُظَلِّمُ أَحْيَانًا فَيُظَلِّمُ * | هُوَ الْجَوَادُ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلُهُ * | |
| ١٧ | زهير | بِحَوْمَانِهِ الدُّرَاجِ فَالْمُتَنَلِّمِ * | أَمِنَ أُمَّ أَوْفِي دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمِ * | |
| ٩ | | مَرَجِعُ وَشِمِّ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ * | وَدَارُ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا * | |
| ٩٧ | زهير | رِجَالُ بَنَوِهِ مِنْ فُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ * | فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ * | |
| ٨٤ | عمرو بن كلثوم | قَصِيدَةٌ قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كَلْثُومِ * | الْهِيَ بَنِي تَغْلِبَ عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ * | |
| ٧٧ | عبد المسيح بن عسلة | بِأَيْمَانِنَا نَقْلِي بِهِنَّ الْجَمَاجِمَا * | عَدَوْنَا إِلَيْهِمُ وَالسُّيُوفُ عَصِيْنَا * | |
| ٤٥ | أبيد | وَلَشَرٌّ وَاصِلٍ خُلَّةٍ صَرَامُهَا * | فَأَقَطَعَ أُبَانَةً مَن تَعَرَّضَ وَصَلُهُ * | |
| ٧٦ | الحصن بن الحمام | وَيَسْتَتَقِدُونَ السَّمْهَرِيَّ الْمَقْوَمَا * | نَطَارِدُهُمْ نَسْتَتَقِدُ الْجَرْدَ كَالْقَنَا * | |
| ٧٦ | | وَلَا النَّبْلُ إِلَّا الْمَشْرِفِيُّ الْمُصَمَّمَا * | عَشِيَّةً لَا تُغْنِي الرِّمَاحُ مَكَانَهَا * | |

| | | | |
|----|------------------|--|--|
| ٣٠ | الملك | وتَقَطَّعْتَ أَسْبَابُهَا وَرِمَامُهَا * | بَلْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ نَوَارٍ وَقَد نَات |
| ٣٠ | الضليل | أَهْلَ الْحِجَارِ فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا * | مُرِيَّةٌ حَلَّتْ بِفَيْدٍ وَجَاوَرَتْ |
| ٤١ | المرقش الأصغر | وَجَزَعاً ظَفَارِيَّاً وَدُرّاً تَوَائِمَا * | تَحَلَّيْنِ يَأْفُوتَاً وَشَذَعِراً وَصِيغَةً |
| ٢٩ | المرقش الأصغر | وَلَا أَبَدَاً مَا دَامَ وَصَالِكِ دَائِمَا * | أَلَا يَا اسْلَمِي لَا صُرْمَ لِي الْيَوْمَ فَاطِمَا |
| ١٨ | عنتره بن | أُمَ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمِ * | هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمِ |
| ٣١ | شداد | وَعَمِي صَبَاحاً دَارَ عِبْلَةَ وَأَسْلَمِي * | يَا دَارَ عِبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي |
| ٩ | طرفة | أُمَ رَمَادُ دَارِسُ حُمْمُهُ * | أَشَجَاكَ الزَّبْعُ أُمَ قِدْمُهُ |
| ٩ | | بِالضُّحَى مُرَقَّشٌ يَشِيْمُهُ * | كَسُطُورِ الرِّقِّ رَقَّشُهُ |

قافية نون

| | | | |
|----|------------------|--|---|
| ١٦ | أبي مقاتل | غَرِهَ الدَّاعِي وَيَوْمَ الْمَهْرَجَانِ * | لَا تَقْلُ بَشْرِي فَعَنْدِي بِشْرِيَانِ |
| ٨٨ | الفرزدق | بِبَدْرِ وَبِالْيَرْمُوكِ فَيءَ جَنَانِ * | خُبَيْرُ بِأَعْمَالِ الرِّجَالِ كَمَا جَزَى |
| ٩٧ | الأعشي | كَمَا زَعَمُوا خَيْرَ أَهْلِ الْيَمَنِ * | وَنُبَيْتُ فَيْسَاءَ وَلَمْ أَبْلُهُ |
| ٨٧ | عمرو بن كلثوم | وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِيراً وَطِينَا * | وَأَنَا الشَّارِبُونَ الْمَاءَ صَفْوَاً |
| ٨٥ | عمرو بن كلثوم | وَكَانَ الْأَيْسَرِينَ بَنُو أَبِينَا * | وَكَأَنَّ الْأَيْمَنِينَ إِذَا التَّقِينَا |
| ٨٧ | أمية بن الصلت | أَكْفَأُ فِي الْمَكَارِمِ مَا بَقِينَا * | وَأَنَا الرَّافِعُونَ عَلَيَّ مَعَدَّ |

| | | | | |
|----|------------------|--|---|--|
| | | | | |
| ٣٠ | عمرو بن كلثوم | نُخَبِّرِكَ الْيَقِينَا وَنُخْبِرِينَا | * | قَفِي قَبْلَ التَّفَرِّقِ يَا ظَعِينَا |
| ٣٠ | كلثوم | لَوْشِكَ الْبَيْنِ أَمْ خُنْتِ الْأَمِينَا | * | قَفِي نَسْأَلُكَ هَلْ أَحْدَثْتِ صَرْمًا |
| ٧٤ | عمرو بن كلثوم | يَكُونُوا فِي اللَّقَاءِ لَهَا طَحِينَا | * | مَتَى نَنْفُلُ إِلَيَّ قَوْمِ رَحَانَا |
| ٣٩ | أوس بن حجر | لَا تَسْتَهْلُ مِنَ الْفِرَاقِ شُؤُونِي | * | لَا تَحْزُنِينِي بِالْفِرَاقِ فَإِنِّي |

فهرس الأعلام

| رقم الصفحة | العلم | الرقم |
|------------|--|-------|
| ٣١ | إبراهيم بن سعد الزهري | ١. |
| ٨٩ | الأخطل: غثيان بن غوث بن الصلت، ت ٩٠ هـ | ٢. |
| ٤١، ٣١ | ميمون بن قيس بن جندل بن شراحبيل ، ت ٧ هـ | ٣. |
| ٦ | امرئ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، ت ٨٠ ق هـ | ٤. |
| ٨٧ | أمية بن أبي الصلت، ت ٥ هـ | ٥. |
| ١٧ | أوس بن حجر بن مالك التميمي | ٦. |
| ٨٠ | البحري: أبو عبادة الوليد بن عبيد شمالان، ت ٢٨٤ هـ | ٧. |
| ٧٩ | بشر بن ابي خازم عمرو بن عوف الأسدي، ت ق هـ. | ٨. |
| ٢٦ | التبريزي: ابو زكريا يحيي بن علي بن محمد الشيباني، ت ٥٠٢ هـ | ٩. |
| ١٩ | أبو تمام: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، ت ٢٣١ هـ | ١٠. |
| ٧٦ | ثعلبة بن عمرو العبدي | ١١. |
| ٢٦ | الجاحظ : عمرو بن بحر بن محبوب الكناني | ١٢. |
| ١٦ | جرير بن عطية الخطفي، المتوفي ١١٠ هـ | ١٣. |
| ٨٤ | حاتم الطائي: حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج، ت ٤٦ ق هـ | ١٤. |
| ٧٨، ٣٠ | الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد اليشكري، ت نحو ق هـ | ١٥. |
| ٧٥ | الحارث بن ظالم المري، ت ٢٢ ق هـ | ١٦. |
| ٩٦ | الحارث بن عوف | ١٧. |
| ٨٨ | الحجاج بن يوسف الثقفي ت ٩٥ هـ | ١٨. |
| ٩٥ | حسان بن ثابت بن المنذر | ١٩. |
| ٧٦ | الحصين بن الحمام المري ، ت نحو ١٠ ق هـ | ٢٠. |
| ٧٩ | الخطيئة: جرول بن أوس بن مالك بن جؤية، ت ٢٤ هـ | ٢١. |
| ٧٧ | خراشة بن عمرو العبسي | ٢٢. |
| ١٠٣، ١٠٢ | الخنساء: تماضر بن عمرو بن الحارث بن الرشيد، ت ٢٤ هـ | ٢٣. |
| ١٠٢ | دريد بن الصمة الجشمي البكري ، ت ٨ هـ | ٢٤. |
| ١٠٥ | أبي ذؤيب الهذلي خويلد بن خالد الهذلي، ت نحو ٢٧ هـ | ٢٥. |
| ١٠٤ | ربيعة بن مكرم بن عامر بن حرثان، ت نحو ٦٢ ق هـ | ٢٦. |

| الرقم | العلم | رقم الصفحة |
|-------|--|------------|
| ٢٧. | ابن رشيق: الحسن بن رشيق القيرواني، ت ٤٦٣ هـ | ٥ |
| ٢٨. | الزبرقان بن بدر التميمي، ت نحو ٤٥ هـ | ١٠٨ |
| ٢٩. | زهير بن ابي سلمي المزني، ت ١٣ ق هـ | ٧ |
| ٣٠. | ابن سلام: محمد بن سلام بن عبد الله البصري، ص ٢٣١ هـ | ٢٥ |
| ٣١. | ابن سيدة: علي بن إسماعيل الأندلسي، ت ٤٥٨ هـ | ٢٥ |
| ٣٢. | طرفة بن العبد بن سفيان بن البكري، ت نحو ٦٠ ق هـ | ٦ |
| ٣٣. | الطرماح بن حكيم بن الحكم، ت نحو ١٢٥ هـ | ٨٨ |
| ٣٤. | طه حسين بن علي بن سلامة، ت ١٩٧٣ م | ٢٧ |
| ٣٥. | عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم | ٨٦ |
| ٣٦. | عبد الله بن سلمة الغامدي القحطاني الأزدي | ٥ |
| ٣٧. | عبد المسيح بن عسلة الشيباني | ٧٧ |
| ٣٨. | عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، ت ٨٦ هـ | ١٦ |
| ٣٩. | أبي العتاهية: إسماعيل بن قاسم بن سويد بن كيسان، ت ٢١١ هـ | ١٩ |
| ٤٠. | عدي بن زيد بن العبادي التميمي، ت نحو ٣٥ ق هـ | ١٠٥ |
| ٤١. | عروة بن الورد بن يزيد العبسي، ت نحو ٣٠ ق هـ | ١٨ |
| ٤٢. | العسكري: ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، ت نحو ٣٩٥ هـ | ١٧ |
| ٤٣. | علقمة بن عبده بن ناشرة بن قيس | ١١١ |
| ٤٤. | عمرو بن الأيهم بن الألف التغليبي، ت نحو ١٠٠ هـ | ٩٠ |
| ٤٥. | عمرو بن كتلوم بن مالك بن عتياب بن ربيعة، ت نحو ٠ ق هـ | ١٨ |
| ٤٦. | عنتر بن شداد العبسي، ت نحو ٢٢ ق هـ | ١٨ |
| ٤٧. | عوف بن عطية الربابي بن عمر | ٧٩ |
| ٤٨. | الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة، ت ١١٠ هـ | ٨٨ |
| ٤٩. | قس بن ساعدة الإيادي، ت نحو ٣ ق هـ | ١١٠ |
| ٥٠. | قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي | ١١٠ |
| ٥١. | ليبيد بن ربيعة العامري بن مالك، ت ٤١ هـ | ٣٠ |
| ٥٢. | لقمان بن عاد بن ملطاط | ١١٠ |
| ٥٣. | ليلي الأخيلية: ليلة بنت عبد الله الرحال بن شداد ابن كعب، ت نحو ٨٠ هـ | ٨٦ |

| الرقم | العلم | رقم الصفحة |
|-------|--|------------|
| .٥٤ | متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي، ت نحو ٣٠ هـ | ١٠٥ |
| .٥٥ | المتبني : ابي الطيب أحمد الحسين، ت ٣٥٤ هـ | ١٩ |
| .٥٦ | المزرد بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني، ت نحو ١٠ هـ | ٧٧ |
| .٥٧ | المرقش الأصغر: ربيعة بن سفيان بن مالك، ت نحو ٥٠ ق هـ | ٤١ |
| .٥٨ | المرقش الأكبر عمرو بن سعد بن مالك، ت نحو ٧٥ ق هـ | ٧ |
| .٥٩ | المنخل اليشكري: المنخل بن مسعود بن عامر، ت نحو ٢٠ ق هـ | ٢٨ |
| .٦٠ | ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم، ت ٧١١ هـ | ٢٥ |
| .٦١ | المهلهل بن ربيعة، ت نحو ١٠٠ ق هـ | ١٠٢ |
| .٦٢ | النابعة: زياد بن معاوية بن ضباب، ت نحو ١٨ ق هـ | ٨ |
| .٦٣ | النجاشي ملك الحبشة، ت ٩ هـ | ١٠٤ |
| .٦٤ | أبي النجم: الفضل بن قدامة العجلي، ت ١٣٠ هـ | ١٦ |
| .٦٥ | النعمان بن المنذر بن الحارث بن جبلة الغساني، ت نحو ٢٨ ق هـ | ٧٥ |
| .٦٦ | النويري: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد شهاب الدين، ت ٧٣٣ هـ | ٣٩ |
| .٦٧ | هرم بن سنان بن أبي حارثة المرئ، ت نحو ١٥ ق هـ | ٩٦ |
| .٦٨ | هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، ت ١٤ هـ | ٣٦ |
| .٦٩ | يزيد بن الحكم بن أبي العاص، ت ١٠٥ هـ | ٨٨ |
| .٧٠ | يزيد بن عبد الملك بن مروان، ت ١٠٥ هـ | ٩٠ |
| .٧١ | يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، ت ١٠٢ هـ | ٩٠ |

فهرس المصادر والمراجع

| الرقم | المصدر |
|-------|--|
| ١. | إبراهيم أبو الخشب أحمد وعبد المنعم البهتي: بحوث في الأدب الجاهلي، الطبعة الأولى، ١٩٦١م، مطبعة لجنة البيان العربي شارع مصطفى كامل |
| ٢. | أحمد الإسكندر والشيخ مصطفى عانني بك: الوسيط في الأدب العربي، ترجمة دار المعارف، ٩ ذو القعدة ١٣٣٥هـ - ٦ أغسطس |
| ٣. | أحمد محمد الحوفي: الغزل في الشعر الجاهلي، دار القلم، بيروت - لبنان |
| ٤. | أحمد محمد الحوفي: الحياة العربية في الشعر الجاهلي، دار القلم - بيروت - لبنان |
| ٥. | أحمد محمد الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، الطبعة الثانية، مطبعة المدني، القاهرة |
| ٦. | أحمد محمد شارك: المفضليات، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، دار المعارف بمصر. |
| ٧. | إسماعيل أحمد شحادة: وصف الطبيعة في الشعر الجاهلي الأموي، مؤسسة الرسالة، دار عمان. |
| ٨. | الأغاني : أبي بكر محمد بن داؤد، الزهرة |
| ٩. | الأصفهاني : كتاب الأغاني : تحقيق سمير جابر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. |
| ١٠. | الأصفهاني : أبي الفرج، تحقيق عبد الكريم إبراهيم الغريايوي، محمود محمد |
| ١١. | الأعشي: ميمون بن قيس، ديوان الأعشي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م |
| ١٢. | امرئ القيس : الديوان ، تأليف حسن النووي، الطبعة الثالثة، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م، مطبعة الاستقامة |
| ١٣. | أنور ناصر: الشعراء العشاق، دراسة أدبية حول شعراء الغزل، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م |

| | |
|-----|--|
| ١٤. | أوس بن حجر: الديوان، تحقيق محمد يوسف نجم، دار الطباعة والنشر، دار بيروت، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م |
| ١٥. | إليّا حاوي: فن الوصوف وتطوره في الشعر العربي، منشورات دار حادي الشرق الجديد، الطبعة الأولى، ١٩٦٠هـ |
| ١٦. | بدوي طبانة: معلقات العرب، دراسة نقدية وتاريخية في عيون الشعر الجاهلي، الطبعة الثانية، ١٣٧٨هـ - ١٩٦٧م، بيروت - لبنان |
| ١٧. | البغدادي: إسماعيل باشا : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبعة استانبول ١٩٥١ن، منشورات مكتبة المثنى ببغداد |
| ١٨. | ابن تغريبردي: جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغريبردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م. |
| ١٩. | أبو تمام : حبيب بن أوس ، الديوان، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزم، المجلد الأول، دار المعارف، ١٩٦٤م. |
| ٢٠. | أبو تمام: حبيب بن أوس بن الحارث المتوفي، ٢٣١هـ، تحقيق محمد عبده عزم، المجلد الأول، دار المعارف، ١٩٦٤م. |
| ٢١. | الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، ت ٢٥٥هـ، كتاب الحيوان. |
| ٢٢. | الجرجاني: القاضي علي بن عبد العزيز بن الحسن، ت ٣٩٢هـ، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم علي محمد البجاوي، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه. |
| ٢٣. | جورج زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، المجلد الأول دار مكتبة الحياة بيروت - لبنان ، ١٩٨٣م. |
| ٢٤. | جورج غريب: الجاهلية أدب وفن وتاريخ سلسلة الموسوعة في الأدب العربي، دار الثقافة، بيروت - لبنان |
| ٢٥. | حاتم الطائي: الديوان تحقيق مفيد محمد قميحة، دار المطبوعات الحديثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م - ١٩٨٨م |
| ٢٦. | ابن حزم: علي بن عسيد بن حزم الظاهري، ت ٤٥٦هـ، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق حسن كامل الصيرفي، مطبعة الاستقامة، القاهرة. |

| | |
|-----|--|
| ٢٧. | حسين عطوان: مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، دار المعارف بمصر. |
| ٢٨. | الخطيب التبريزي: شرح القوائد العشر، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق ، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م |
| ٢٩. | ابن خلكان: أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان، ت ٦٨١ هـ، وفيات الأعيان وأنباء وأبناء الزمان، تحقيق د. يوسف علي طويل، الطبعة الأولى ، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م |
| ٣٠. | تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الرشيد، ت ٢٤ هـ ، الديوان، تحقيق إبراهيم عوضين الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٠ م مطبعة السعادة ، ميدان أحمد ماهر. |
| ٣١. | الزركلي: خير الدين محمود، الأعلام قاموس تراجم الأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الطبعة العاشرة، بيروت دار العلم للملايين، ١٩٩٢ م. |
| ٣٢. | الذهبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ت ٧٤٨ هـ، سير أعلام النبلاء، أشرف علي التحقيق شعيب الارنؤوط، الطبعة السابعة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٠ م. |
| ٣٣. | ابن رشيق: الحسن بن رشيق القيرواني، المتوفي ٤٦٣ هـ ، العمدة في صناعة الشعر، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب بيروت - لبنان. |
| ٣٤. | زبيردراقي: المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ديوان المطبوعات الجامعية، رقم النشر ، ٤٠٩٠٣٩٢٩ |
| ٣٥. | زهير بن أبي سلمي: الديوان، شرح أبو حجاج يوسف بن سليمان، محمد بدر الدين |
| ٣٦. | الزوزني : حسين بن أحمد بن حسين الزوزني، ت ٤٨٦ هـ، شرح المعلمات السبع، الطبعة الثانية، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٧٥ م. |
| ٣٧. | السباعي بيومي: تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، الجزء الأول |
| ٣٨. | سعد إسماعيل شلبي: الأصول الفنية في الشعر الجاهلي، مكتبة غريب. |

| | |
|-----|---|
| ٣٩. | السمعاني: الإمام ابي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور، المتوفي ٥٦٢هـ، الأنساب تحقيق محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. |
| ٤٠. | شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، الجزء الأول. |
| ٤١. | الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك، ت ٧٦٤هـ، كتاب الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الارناؤوطي وتركي مصطفى، الطبعة الأولى بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م. |
| ٤٢. | طرفة بن العبد: الديوان شرح الأديب يوسف الأعلم الشنتمري، طبع في مدين شالون بمطبع برطوند |
| ٤٣. | طه أحمد إبراهيم" تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلي القرن الرابع الهجري، دار الحكمة ، بيروت - لبنان. |
| ٤٤. | طه حسين: حديث الأربعاء، الجزء الأول، الطبعة الثانية عشر، دار المعارف بمصر، ١٩٢٥م. |
| ٤٥. | العباسي: الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي، المتوفي ٩٦٣هـ، معاهد التصحيح علي شواهد التلخيص تحقيق محمد محي الدين عبد الجليل ، بيروت عالم الكتب، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م. |
| ٤٦. | أبن عبد البر: ابي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي، المتوفي ٤٦٣هـ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق الشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى ، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. |
| ٤٧. | عبد العظيم قناوي: الوصف في الشعر الجاهلي العربي الجزء الأول مطبوعة البابي الحلبي وأولاده الطبعة الأولى ، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م. |
| ٤٨. | عبد الله الحامد: الشعر في الجزيرة العربية، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م. |
| ٤٩. | العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، كان حيا سنة ٣٩٥هـ، كتاب الصناعتين تحقيق مفيد قميحة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٧٤م . |
| ٥٠. | علي الجندي: شعر الحرب في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة |

| | |
|-----|--|
| ٥١. | علي الجندي: في تاريخ الأدب الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة. |
| ٥٢. | علي محمد حسن العماري: التاريخ الأدبي للعصرين الجاهل والإسلامي الأول، بيروت مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م. |
| ٥٣. | عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية، الطبعة الأولى، بيروت مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م |
| ٥٤. | عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، الجزء الأول، دار العلم، بيروت |
| ٥٥. | ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم الدينوري، ت٢٧٦هـ، الشعر والشعراء |
| ٥٦. | قدامة بن جعفر المتوفى ٣٣٧هـ، نقد الشعر تحقيق عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. |
| ٥٧. | القرشي: أبي زيد أحمد بن أبي الخطاب، المتوفى ١٧٠هـ، جمهرة أشعار العرب، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، دار نهضة مصر. |
| ٥٨. | كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، نقله إلي العربي عبد الحليم النجار. |
| ٥٩. | كارلونا لينو: تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بن أمية تقديم طه حسين، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر. |
| ٦٠. | ليبد بن ربيعة العامري: المتوفى ٤١هـ، الديوان، دار صادر بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م. |
| ٦١. | المتبى: أبو الطيب أحمد بن الحسين، الديوان |
| ٦٢. | مجموعة لجنة من أدباء الأقطار العربية: الغزل من نشأته حتى صدر الدولة العباسية، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م. |
| ٦٣. | مجموعة لجنة من أدباء الأقطار العربية: الوصف، تصدرها دار فنون الأدبي العربي، الفن الغنائي. |
| ٦٤. | محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان. |
| ٦٥. | محمد عبد العزيز الكفراوي: الشعر العربي بين الجمود والتطور، الطبعة الثانية، ١٩٥٨م. |

| | |
|-----|--|
| ٦٦. | محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة حجازي، القاهرة. |
| ٦٧. | محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، بيروت - لبنان، دار العودة، ١٩٧٣/٧/١م. |
| ٦٨. | محمد النويهي: الشعر الجاهلي منهج في دراسة وتقديمه، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة |
| ٦٩. | المرزباني: معجم الشعراء أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى، ت ٣٤هـ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر ١٩٦٥م. |
| ٧٠. | مصطفى ناصف: قراءات ثانياً لشعرنا القديم، بيروت. |
| ٧١. | مطوع صفدي وإيليا حاوي: موسوعة الشعر العربي، الشعر الجاهلي، المجلد الأول، شركة خياط للكتب والنشر، بيروت، ١٩٧٤م. |
| ٧٢. | ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر بيروت. |
| ٧٣. | النابغة الذبياني: المتوفي نحو ١٨ ق هـ، تحقيق كرم البستاني، بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. |
| ٧٤. | النابغة الذبياني: الديوان تحقيق البستاني، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م |
| ٧٥. | النابغة الذبياني: الديوان، تحقيق عباس عبد الستار، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م. |
| ٧٦. | نجيب البهيتي: تاريخ الشعر العربي حتى القرن الثالث الهجري، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م، الناشر مؤسسة الخانجي، القاهرة. |
| ٧٧. | نوري حمود القيسي: الطبيعة في الشعر الجاهلي، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، عالم الكتب. |
| ٧٨. | النويري: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد شهاب الدين المتوفي ٧٣٣هـ، نهاية الإرب في فنون الأدب، دار الكتب للطباعة والنشر. |
| ٧٩. | هيوارث دن: الأدب العربي في العصر الجاهلي مكتبة الثقافة العربية. |
| ٨٠. | وهب رومية: الرحلة في القصيدة الجاهلية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت. |

| | |
|--|------------|
| <p>اليافعي: أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي، ت ٧٦٨هـ، الطبعة الثانية، بيروت، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م</p> | <p>٨١.</p> |
| <p>يحي الجبوري: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الأندلس، بيروت ، شارع سوريا</p> | <p>٨٢.</p> |
| <p>يوسف حسين بكار: بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الأندلس، بيروت - لبنان.</p> | <p>٨٣.</p> |

فهرس المحتويات

| الصفحة | الموضوع |
|--------|--|
| ١ | المقدمة |
| ٣ | الفصل الأول : الأطلال |
| ٤ | المبحث الأول: الأطلال عند الشعراء الجاهليين |
| ١٠ | المبحث الثاني : فلسفة الوقوف علي الأطلال عند النقاد المحدثين |
| ١٥ | المبحث الثالث : المطالع الطللية والغزلية في القصيدة الجاهلية |
| ٢٤ | الفصل الثاني : الغزل |
| ٢٨ | المبحث الأول : الغزل عند الشعراء الجاهليين |
| ٣٥ | المبحث الثاني : أثر البيئة والطبع في الغزل |
| ٤٣ | المبحث الثالث : التخلص في القصيدة الجاهلية |
| ٥٠ | الفصل الثالث : الوصف |
| ٥١ | المبحث الأول : الوصف في الشعر الجاهلي |
| ٥٨ | المبحث الثاني : وصف الناقة |
| ٦٦ | المبحث الثالث : وصف الفرس |
| ٧١ | الفصل الرابع : أغراض أخرى |
| ٧٢ | المبحث أول : الحماسة |
| ٨٢ | المبحث الثاني : الفخر |
| ٩٢ | المبحث الثالث : المدح |
| ١٠٠ | المبحث الرابع : الرثاء |
| ١٠٦ | المبحث الخامس: الهجاء |
| ١٠٩ | المبحث السادس : الحكمة |
| | الخاتمة وتشمل |
| ١١٢ | ملخص البحث |
| ١١٤ | النتائج |

| | |
|-----|-----------------------|
| ١١٦ | التوصيات |
| ١١٧ | الفهارس العامة |
| ١١٨ | فهرس الأشعار |
| ١٢٧ | فهرس الأعلام |
| ١٣٠ | فهرس المصادر والمراجع |
| ١٣٧ | فهرس المحتويات |